13 me Année No. 627

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 9 - 7 - 1945

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٢٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٦٤ — ٩ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

السلفية والمستقبلية

للأستاذ عباس محمود العقاد

غنى الأديب الفاضل الأستاذ الحوفي بالرد على اللغط الذي يلوكه باسم التجديد ذلك الكاتب الذي يكتب ليحقد، ويحقد ليكتب، ويدين بالمذاهب ليربح منها ولا يتكلف لها كلفة في العمل أو في المال.

فهو يشتري الأرض، ويتجر بتربية الخنازير، ويسخر العمال ويتكلم عن الإشتراكية التي تحرم الملك وتحارب سلطان رأس المال

وهو يعيش من التقتير عيشة القرون الوسطى في الأحياء العتيقة ويتكلم عن التجديد والمعيشة العصرية.

وهو ينعى الحضارة الأسيوية وإنه لفي طوله يذكرنا بخلائق البدو للغول في البراري السيبيرية.

ومن لغطه بالتجديد ذلك اللغط الذي لا يفهمه، قوله الذي رد عليه الأستاذ الحوفي وهو: « التفت إلى عبارة قالها الأستاذ العقاد بشأن الاشتراكيين في مصر لها مناسبة هنا. إذهم يدعون على غير ما يجب إلى اللغة العامية؛ وقد حسب عليهم هذه الدعوة في قائمة رذائلهم، لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى؛ ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت، ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية وهي أن الإشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشعبي ويعملون لتكوينه، وهم لهذا السبب أيضاً مستقبليون وليسوا سلفيين ... في حين أنه هو سلفي الذهن في لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه ... »

وهذا كلام عن السلفية والمستقبلية يساوي العبارة لا يعقل قائله ما يقول:

لأن الكتابة في الموضوعات التاريخية ليست هي مقياس السلفية أو المستقبلية وإلا كان المؤرخون كلهم سلفيين لأنهم ما كتبوا ولن يكتبوا في غير العصور السالفة وفي غير الماضي البعيد أو القريب، وإنما المقياس الصحيح هو طريقة الكتابة في الموضوعات التاريخية والأبطال التاريخيين، وبهذا المقياس يحسب الإنسان سلفياً رجعياً ولو كتب عن المستقبل الذي يأتي بعد مئات السنين. إذ هو قد يكتب عنه بروح الجهل القديم والعصبية الرجعية، وهي العصبية التي عششت في دماغ ذلك الكاتب الببغاوي فلا ينساها في موضوع قديم ولا حديث.

ومن أصدق المقاييس للمستقبلية الإيمان بالحرية الفردية والتبعة الشخصية.

فليس في التاريخ الإنساني كله مقياس للتقدم أصدق ولا أوضح ولا أكثر اطراداً في جميع الأحوال من مقياس حرية الفرد بين أمة وأمة، وبين زمان وزمان، وبين خليقة وخليقة، وبين تفكير وتفكير.

فإذا قابلت بين عصرين اثنين فأرقاهما ولا ريب هو العصر الذى يعظم فيه نصيب الفرد من الحرية والتبعة الشخصية .

وإذا قابلت بين أمتين فى عصر واحد فأرقاهما ولا ريب هى التى تدين بالنظم القائمة على تقرير حرية الفرد وتحميله التبعة فى السياسة والأخلاق .

وهذا الفارق الحاسم هو أيضاً مقياس الفارق بين العالم والجاهل والرفيع والوضيع والرجل والطفل والرئيس والمرؤوس وكل فاضل وكل مفضول .

ولهذا كنا نحن مستقبليين لأننا ندين بمذاهب الحرية الفردية ولا ندين بمذاهب الفاشية والشيوعية ، ولا نرى فى واحدة منها خيراً لبنى الإنسان . وقد حاربنا الفاشية والنازية فى الوقت الذى كان فيه الببغاوات من أمثال ذلك الكاتب يطبلون لها ويزمرون، ويسجدون لأبطالها ويركعون ، وعشنا وعاش الناس حتى رأوا ورأينا مصداق ما أنذرنا به وأكدناه وقررناه . وسنرى عن قريب مصداق ما أنذرنا به وأكدناه وقررناه فى أمر الشيوعية الماركسية على الخصوص ، لأنها هى المذهب الذى نحن على يقين من سوء مصيره وسوء وقعه وسوء فهمه بين أدعيائه ، وليس هو الاشتراكية فى صورتها الحرة المهذبة كما يغالط ذلك الكاتب الببغاوى فى التسمية وهو يتعمد أو لا يتعمد التغليط والتخليط .

وقد بدرت البوادر التى لا خفاء بها فعلم الشرقيون والغربيون أن سياسة بطرس الأكبر — لا سياسة المستقبل — هى التى يترنم بها الببغاوات فى هذا البلد وفى غيره من البلدان ، وسيرون المزيد والمزيد من دلائل الرجوع إلى القديم فى كل مسألة من مسائل الخلاف بين السلفيين والمستقبليين .

* * *

وفى مقاييس المستقبل التى لا تخطىء ولا تكذب فى الدلالة على الوجهة التاريخية العامة مقياس التعاون بين الدول ، أو التعاون بين الطبقات ، أو التعاون بين الأفراد ، فإن هذا التعاون ملحوظ الخطوات فى السياسة الدولية من الزمن القديم إلى الزمن الحديث ، وهو كذلك ملحوظ الخطوات فى المعاملات التى تشيع بين أبناء الوطن الواحد ، وسيكون له الشأن الأكبر فى علاج مشكلات الاجتماع والاقتصاد على توالى السنين .

وبهذا المقياس — بعد مقياس الحرية الفردية — تعتبر الشيوعية من المذاهب الرجعية التى ترجع بنا إلى سيادة الطبقة الواحدة وإن كانت تزعم أنها طبقة وحيدة وأنها هى طبقة الصناع والأجراء . فسيادة الطبقة الواحدة أقدم الصور الاجتماعية التى عرفها الناس ، والشيوعية لا تغير فى الأمر غير عنوان الطبقة … إن صح ما تدعيه .

* * *

وأسخف السخف قول ذلك الكاتب الببغاوى إن الشيوعين « يفضلون اللغة العامية لأنهم شعبيون مستقبليون » .

ومصيبة الدنيا أن تحشو هذه الببغاوات أفواهها بما تسميه تفسير الظواهر الاجتماعية وهى لا تفسر تحت آنافها ما تسمعه بالآذان وتبصره بالعيون .

فاللغة العامية لغة الجهل والجهلاء وليست بلغة الشعبيين ولا من يحبون الخير للشعوب .

لأن الغنى الجاهل يتكلم اللغة العامية ولا يقرأ اللغة الفصحى ولا يمتاز بفهمها على الفقراء .

ولأن الفقير المتعلم يفهم الفصحى ويكتبها ، كما يفهمها سائر المتعلمين من العلية أو السواد .

فأعداء الشعب حقا هم أولئك الذين يفرضون عليه الجهل ضربة لازب ولا يحسبونه فى يوم من الأيام صاعدا من حضيض الجهل إلى طبقة المعرفة والثقافة .

وأصدقاء الشعب حقا هم الذين يفتحون له أبواب المزايا العالية ويسوون بينه وبين القادرين على التعلم والتكلمين بلغة المتعلمين .

والمسألة هنا — أيتها الببغاوات التى تفسر الظواهر الاجتماعية — ليست مسألة شعبيين وطبقات وأجور رؤوس أموال كما يهذى كارل ماركس وأتباعه المفتونون .

في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

– ٧ –

* ج ١٠ ص ٢٣٧ : وعن النضر بن شُمَيْل قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال : أنشدني أقنع بيت للعرب ، فأنشدته قول الحكم بن عبدل :

إني امرؤ لم أزل وذاك من الله (م) أديبـــاً أعَلِّمُ الأدبا
لا أحتوى خُلَّةَ الصديق ولا أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا

وجاء في الشرح : (أديباً) في الأغاني قديماً (لا احتوى) من الاحتواء وهو كونها له وتحت أمره (خلة الخ) يريد زوجة صديقه .

قلت : شميل جاءت بكسر الياء وتشديدها وهي — كما قال ابن خلكان — : بضم الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ...

(قديماً) كما روى الأغاني خير من (أديبا)
(أعلِّم الأُدبا) هي أعَلِّم الأدبا)

وهو يعني أدب النفس ، ومن هذا الأدب ومن القناعة ألاّ يقول : أعلِّم الأُدباء .

(لا أحتوى) هي (لا أجتوى) أي لا أكره وأمل . و (الخلة) هنا هي الصداقة لا زوجة صديقه . والخلة بالكسر : المصادقة والموادة والأخاء . والبيتان تليهما في الكتاب أبيات .

* ج ١٢ ص ٢٧٧ : وله (على بن تَرْوان الكندي) :

هتك الدمع بصوب الهتّن كلّ ما أضمرت من سر خفّ
يا أخلائي على الخيف ، أما تتقـون الله في حث المطيّ !

قلت : لا تشدد الياء في (خفي والمطي) حتى لا يختل الوزن :

وإنما هي مسألة الفارق السرمدي بين المعيشة اليومية وبين الحياة الانسانية الباقية على اختلاف الأمم وتعاقب العصور .

فكل ما هو من باب القيم الانسانية الباقية فلا مناص له من تعبير خاص غير تعبير السوق والبيت وكلمات التسلية والاستلقاء ، ولو أجبرنا الناس جميعاً في هذه الساعة على الكلام بالعامية دون غيرها لما استطاعوا أن يتجنبوا اللغة الخاصة .

والمصطلحات الخاصة والتراكيب الخاصة سنة واحدة حين يكتبون في الطب أو الرياضة العليا أو الكيمياء أو القانون ، ولكان عسيراً عليهم أشد العسر أن يكتبوا بالعامية مذهباً كمذهب كانت أو مذهب لمبروزو أو قصيدة كقصائد المتنبي وبيرون وشكسبير .

فإذا كانت اللغة الخاصة لازمة للمتعلم على كل حال لاستيفاء علم الطب أو علوم الرياضة أو علوم القانون فلماذا تحرم عليه لاستيفاء علوم الأدب والقدرة على التعبير الذي لا يتجاوز حدود اليوم ويصاحب الأمم الانسانية عدة أجيال؟ ومن قال إن الانسان يستخدم لغة واحدة حين يساوم على بطيخة أوحين يغسل القدور ويخرط الملوخية ، وحين يتكلم عن غبطة النفس بالربيع وسمو الأمل بالحب ونبل الفداء في سبيل المثل العليا ؟

ما هذا الولع بالتسفل وهذا الإنكار لكل ارتفاع ؟ ما هذا التمرغ في كل وضيع وهذا الجرد الذي لا يطاق على كل شريف رفيع ؟

فاللغات الفصحى لم تحفظ حتى اليوم لأن الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال يتكلمونها في البيت والسوق ، ولم تحفظ حتى اليوم لأنها مزية طبقة من الطبقات الاجتماعية أو مزية الأغنياء القادرين على التعليم ، فإن أغنى الأغنياء كثيراً ما كانوا من أضعف المعبرين ، وأفصح الفصحاء كثيراً ما كانوا من الفقراء والمعدمين . وإنما اختلفت اللهجتان على مدى الزمن بضرورة الاختلاف بين حياة البيت والسوق وحياة المعرفة والتهذيب التي تتجاوز حاجة اليوم إلى حاجة الأجيال .

وليس إلا الحقد على كل شريف رفيع يسول للبيناوات أن يحاربوا اللغة الفصحى باسم الشعبية والشعبية منهم براء .

والمرجع بعد إلى الذوق والشعور وخصب الخيال ، وهي ملكات حرمتها الشيوعية وذووها من كارل ماركس إلى أذنابه الذين لا يفقهون ما يقول ، ولو فقهوه لما عظم شأنهم بين شئون النفوس والعقول .

عباس محمود العقاد

و (بصوب المتن) هما (بصوب هتِنٍ) وهتن بكسر التاء . وهذه اللفظة (هتن) لم تجىء فى شعر قديم وصل إلينا ، ولم يذكرها معجم نعرفه . وقد استعملها المتنبي فى هذا البيت فى إحدى قصائده :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن(م)

العارض الهتن ابن العـارض الهتن

جاء فى (ديوان أبى الطيب المتنبى) النسخة التى صححها وجمع تعليقاتها (الدكتور عبد الوهاب عزام) وطبعتها (لجنة الترجمة والتأليف والنشر[1]) .

قال ابن القطاع : هذا البيت الذى أفسد المتنبي فيه اللغة ، وغلط فيه ، وكرر غلطه أربع مرات ؛ وذلك أن العلماء مجمعون على أن يقال : هتن المطر والدمع يهتن هتناً وهتوناً ، واسم الفاعل منه هاتن ، وكذلك يقال : هتل المطر والدمع يهتل هتلاً وهتولاً باللام ، واسم الفاعل هاتل . ولم يقل أحد من العلماء ولا جاء عن أحد من العرب : هتِنَ يهتَن على فعِل يفعَل فيكون اسم الفاعل منه هتِن على فعِل . ولم يذكره أحد من جميع الرواة ولا اهتدى إليه إلى هذه الغاية حتى نبهت عليه .

جاء فى (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) للأنبارى :

لما أنشد (المتنبي) سيف الدولة قوله فى مطلع بعض قصائده : (وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه) كان هناك ابن خالويه فقال : يا أبا الطيب! إنما يقال : شجاه — توهمه فعلاً ماضياً — فقال أبو الطيب : اسكت ، فما وصل الأمر إليك قصد أبو الطيب أشجاه أكثره شجى لا الفعل الماضى ...

قلت : فهل يقول أبو الطيب لابن القطاع — وقد أسمعه ما أسمعه — : اسكت ، فما وصل الأمر إليك ، قد سمعتها من الأعراب ، أو وجدتها فى شعر الأعشى أو قلتها ولى — وقد « بلغت فى علم اللغة للبالغ » — أن أقولها . وهل تتقبل نحن

(١) « طبعة تعتمد على أقدم النسخ وأصحها ، وتمتاز بزيادات فى الشعر ومقدمات للقصائد طويلة كتبها المتنبي وتعليقات عظيمة للشاعر نفسه »

(المتن) — وهذه قصتها — فى هذا الزمن بقبول حسن ... ؟

* ج ٨ ص ١٢٩ — : قال العماد (الأصفهانى) : أقام ملك النحاة (الحسن بن صافى) فى رعاية نور الدين محمود بن زنكى ، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال ، يحكم على أهل التميز بحكم ملك فيُقيل ولا يُستقال ، وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيتى وحاشيتى[1] ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلا حمل غاشيتى .

وجاء فى الشرح : وكانت (يستقال) فى الأصل (ولايستقل) وفى البغية : يستقال .

غاشيتى : المراد بالغاشية أنه يكون من أتباعه وخدمه .

قلت : (فيقيل ولا يستقال) هما (فيَقتال ولا يُقتال) أى يحكم على غيره ولا يحكم غيره عليه . فى اللسان والتاج : اقتال عليهم احتكم . قال أبو عبيد : سمعت الهيثم بن عدى يقول : سمعت عبدَ العزيز بن عمر بن عبد العزيز يقول فى رقية النملة : العروس تحتفل ، وتقتال وتكتحل ، وكل شيء تفتعل ، غير ألاَّ تعصى الرجل . قال : تقتال : تحتكم على زوجها .

و (الغاشية) هنا غاشية السرج وهى غطاؤه .

* ج ١٦ ص ١١ :

أبيت الليـــل مرتقباً كئيباً   لهمّ فى الضلوع ، له أوار

وجاء فى الشرح : كانت هذه الكلمة (مرتقباً) فى الأصل (مرتفقاً) .

قلت : الأصل صحيح . فى الأساس : وبت مرتفقاً متكئاً على مرفق ، وفى اللسان : وبات مرتفقاً أى متكئاً على مرفق يده ، وأنشد ابن برى لأعشى باهلة :

(١) قلت : (وحاشيتى) من (بغية الوعاة) وعندى أنها كانت فى الأصل ، وفى هذا الكتاب : وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة . وفى (إرشاد الأريب) : كان يستخف بالعلماء فكان إذا ذكر واحد منهم يقول : كلب من الكلاب . فقال رجل يوماً : فلست إذن ملك النحاة ، إنما أنت ملك الكلاب ... فاستشاط غضباً ، وقال : أخرجوا عنى هذا الفضولى .

فبت مرتفقاً والعين ساهرة كأن نومي على الليلَ محجور[1]

وفي (الكامل) و (جمهرة أشعار العرب) لأعشى باهلة هذا في قصيدته التي رثى بها المنتشر :

فبت مرتفقاً للنجم أرقبه حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

وروى ياقوت لابن بكير المحاربي :

فبت مرتفقاً أرعى النجوم إلى أن جاوب الديك فينا سحرة ديكا

* ج ١٧ ص ٣٢ : حبس عيسى بن سليمان الهاشمي كيسان . وكان أبو عبيدة يعبث به كثيراً ، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير ، فأمر بإخراجه . فقال للجلاوزة : من أخرجني ؟ قالوا : تكلم فيك شيخ مخضوب . فقال : أمه ... إن برّح من الحبس ، إحْيس ظلم ، وطليق ذل ، لا يكون هذا أبداً .

وجاء في الشرح : إحيس بمعنى محبوس .

قلت : (برح) غير مضعف ، وليس هناك برّح بالتشديد ، وفي مستدرك التاج : تَبرّح كبرح وأبرحه هو ، قال مليح الهذلي :

مُكَتَّنَ على حاجاتهن وقدمضى شباب الضحى والعيس ماتتبرح

و (إحيس ظلم الخ) هي أحيس ظلم وطليق ذل ؟ ! وليس في العربية إحيس .

* ج ١٧ ص ٢١٧ : وله (لمحمد بن أحمد بن سهل المعروف بابن بُشران) :

لا تغترر بهوى الملاح فربما ظهرت خلائقُ للملاح قباحُ

وكذا السيوف يَرَوْنَ حسن صقالها وبحدها تَتخطَّف الأرواح

قلت : وكذا السيوف يروقُ حسنُ صقالها .

* ج ١٥ ص ٣٦٧ : وكان عَلْقمةُ[2] والياً على حُوران .

قلت : وردت حوران بالضم وهي بالفتح كما ضبط ياقوت في (معجم البلدان) .

* ج ١٥ ص ١٠١ : قرأت بخط أبي سعد : سمعت علي بن نصر النيسابوري مذاكرة بمرو يقول : كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التي لأبي اسماعيل المنشيء :

(١) قلت : جاء (الليل) في طبعة اللسان بكسر اللام مجروراً بما قبله .

(٢) هو علقمة بن علاثة ، وكان نديد عامر بن الطفيل . وهو الذي دعا عامراً إلى تلك المنافرة المشهورة ، وقد سردت قصتهما في إحدى مقالاتي (حكاية الوفد الكسروي) الرسالة ٥٤٠

ذكرتكم عند الزلال على الظما فلم أنتفع من برده ببَلال[1]

فأنشدت قصيدة في نقيب النقباء أبي القاسم علي بن طرّاد الزينبي على هذا الروي ، أولها :

خليليّ ، زمت للرحيل جمالي فقدضاق في أرض العراق مجالي

وَقُوداً عتاقاً كالأهلة ، إنما ديار الندى والمكرمات حوالي[2]

وما أوجبت بغداد حقي وغادرت بلابل بعد الظاعنين ببالي

وجاء في الشرح : قوداً جمع قوداء : النوق وفي البيت قصر ، يقول فيه : إن ديار الندى والكرم حوالى بغداد لا فيها :

قلت (خليليّ ، زُمّا للرحيل جمالي) و (قودا) أمر لصاحبيه : قاد ، يقود ، قد ، قوداً . و (حوالى) هي (خوالي) بالخاء لا بالحاء .

* ج ١٧ ص ٢٤٤ : سئل الأديب الأبيوردي عن أحاديث الصفات ، فقال : نُقرّ ونُمِرّ .

وجاء في الشرح : نقر ونمر أي نعترف به ونجيزه .

قلت : نقر ونَمُرّ : نسكت ولا نخوض في صفات الله (عز وجل) مع الخائضين ، لا نجيء متزلين نافين ولا مشبهين مجسمين ، نقر ونمر ...

(١) ما في سقائه بلال وهو ما يبل به (الأساس)

(٢) عتاق الخيل والطير : كرائمها (الأساس) .

٢ – بقية حديث فى فرنسا

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

المقال الثانى

مما لم ينشر فى سنة ١٩٤٠

مضافاً اليه بعض ما يتصل به حديثاً

يذكر الذين شهدوا معرض باريس العالمى الأخير سنة ١٩٣٧ شبه أقفاص أنهم رأوا فى أقسام المستعمرات الفرنسية تضم أفراداً من الإنسان الإفريقى والإنسان الأسيوى اللذين قضى على أممهم سوء الطالع أن تقع فى براثن الاستعمار الفرنسى . وقد عرضوا على أعين الناس أشباه عرايا كأنهم أنواع من « الغورلا » أو « الشمبانزى » أو الوحوش ... وزيادة فى الازراء بهم وكلوا حراستهم لجماعة من النساء العجائز .

هكذا سمعنا ممن شهدوا هذا المعرض ، ولعلنى رأيت صوراً لذلك فى بعض المجلات المصرية أو فى دور السينما فيما أظن .

هذه واحدة لفرنسا حامية حقوق الإنسان ! التى أوقعت فى روع البسطاء أنها اتخذت من ثالوث الحرية والإخاء والمساواة إلهاً سياسياً بشرت به وبشر معها أذنابها فى بقاع الأرض .

لقد يغفر الله لفرنسا آثامها فى نفسها وفساد حياتها وانحلال روابط الأخلاق فيها وما إلى ذلك من موبقات الحياة ومدمرات العمران ... أما أن يغفر لها امتهانها كرامات الإنسان على هذا النحو وعلى رءوس الأشهاد بعرضه هكذا ، فذلك ما لا أظن الله مقدس الروح الإنسانى ولو كان فى جسم مسخ ، وخالق الناس ألواناً وأجناساً شتى ، قد تجاوز عنه لفرنسا !

ما أسعد العجزة والبُله والممسوخين وناقصى الخلقة فى الشرق الإسلامى وخاصة فى مصر ! إنهم يعاوَنون وتفاض عليهم ألوان الكرامة من القادرين الكاملين إلى درجة الاعتقاد بأنهم أولياء لله يتبرك بهم ويسعى إليهم ويعطف عليهم ؛ لأن وراء النظرة إليهم إدراكاً من الناظرين أن الذى خلقنا كاملين هو خلقهم ناقصين ، فهم غير مسئولين .

خلقتُ على ما فىّ غيرَ مخيَّر هواى ولو خُيِّرتُ كنت المهذبا

ولأن الناس يعتقدون أن الذى خلقهم هكذا ضعفاء وسط معترك الحياة لاشك سيتولى الدفاع عنهم والحماية لهم وامتهان من يمتهنهم .

ولكن الفرنسيين ينظرون إليهم كأنهم حيوانات بشرية فى أفق أسفل . ونحن لا نريد أن ننظر إلى هؤلاء الناقصين نظرة الازدراء والإهدار ، ولا نظرة التقديس والإكبار ، فإن فى كلتا النظرتين خروجاً على الصواب ، ولكنا نريد أن نوازن بين حظ الروح الإنسانى من التقديس فى الشرق والهوان فى فرنسا التى تزعم ويزعم لها أذنابها أنها حامية حقوق الإنسان ... ونريد أيضاً أن نقول للذين يدافعون عن روح فرنسا : إنهم لو قضى عليهم سوء الطالع فوقعوا تحت نير الاستعمار الفرنسى ما كان يستبعد أن تحشر فرنسا أقاربهم من الفلاحين المحرومين من العلم والتهذيب والمدنية فى أقفاص لتتفكه بهم رواد معارضها تفريجاً عن قلوبهم — إن كان فى هذا فرجة قلب — وزيادة فى جلب وسائل إحاطتهم بالملومات ...

وإن فى القرى المصرية من ناقصى الخلقة الملونين بغير اللون الأبيض أمثال من فى بلاد شمال أفريقية والهند الصينية وجزر مدغشقر الذين عرضت منهم فرنسا نماذج .

***

يكاد يكون الإعجاب بفرنسا عند جمهور الدافعين عنها المحزونين على سقوطها يدور على محاور ثلاثة :

١ — مبادئ ثورتها التى زعموا أنها أول ثورة أعلنت حقوق الإنسان واتخذت من ثالوث الحرية والإخاء والمساواة إلهاً سياسياً .

٢ — دنياها الفكرية والأدبية التى ينمو فيها كل رأى بدون حرج ولو كان فيه حتف الدولة والدين ...

٣ — دنيا باريس « ذات المائة درجة والمائة دركة » بما فيها من حقائق وأباطيل ، وضلال وهدى ، ورشد وسفه .

***

أما الثورة الفرنسية فلم أر ثورة حبطت فى أرضها وضاع أكثر مابذل فيها من الدماء هباء منثوراً مثل حبوطها وضياع جهودها ... ومع ذلك فقد ظفرت فى الشرق الإسلامى وخاصة مصر بدعاية

فتنت الشباب فتنة العمى ، وأنستهم أن في مواريثهم الفكرية والسياسية مبادئ أكمل وأكرم من مبادئها قد رآها التاريخ وسجلها صحائفه قبل أن تثور فرنسا بألف ومائتي سنة . فلا ينبغي لهم أن يذكروها إلا بترتيبها التاريخي كصدى بعيد جداً للثورة الإسلامية الكبرى . ولكننا نحن العرب لسنا أمة فيها طفولة تحب الإعلان والطنطنة الجوفاء .

وللشباب معاذير من قصور البرامج الدراسية للتاريخ الإسلامي قصوراً معيباً . ووزر ذلك على الذين مسخوه ولم يكلوا دراسته للمؤمنين به الواقفين على أسراره ، ومعاذير من الدعاية العريضة التي تنفق عليها فرنسا « العلمانية » والكاثوليكية وتحشد لها الذين أفئدتهم هواء وأعينهم عمياء وشهواتهم ثقيلة ، فانطلقوا يحرقون البخور ويفرشون الأزهار ويعطرون الأجواء لفرنسا والثقافة اللاتينية ، ويقيمون من فرنسا تمثالاً أمام أعين الشباب للحرية والقوة والعلم والجمال حتى جهل الشباب الإسلامي والعربي أنهم أعرق في الحرية والمساواة وأعرف بهما ، ولكن أمهم لا تحسن الإعلان .

ولقد مهد هؤلاء الدعاة للثقافة الفرنسية في نفوس المصريين ، وطبعوا النفس المصرية بالطابع الفرنسي في المدرسة والبيت والذوق العام ... وكان من الأنسب لنا إذا كان لا بد من شيوع روح أجنبية فينا أن تشيع فينا الروح العالية التي في أمريكا أو الروح بنوعيها : الإنكليزية والجرمانية ، فإنها روح قائمة على الخلق والعلم والعمل وفن الحياة بالجسم والروح . ولكننا على الرغم من وجود الحكم الإنجليزي السياسي بيننا نيفاً وستين سنة لم ننتفع بأساليب الحياة الإنجليزية ولم نتأثر بها كما تأثرنا بالروح الفرنسية ، ولو كنا تأثرنا بتلك التربية لكان لرجالنا من السياسة الإنجليزية موقف آخر عملي غير موقفهم المبتسر الكلامي الحزبي الفردي الطليق من أكثر القيود الوطنية المقدسة . والذي يماثل موقف رجال فرنسا في ديارها أشبه من التراب بالتراب !

ولو كانت الثقافة الفرنسية مرضياً عنها عند الاجتماعيين والمفكرين الفرنسيين أنفسهم لكان لنا وجه من العذر في اقتفائها ولكن هؤلاء الاجتماعيين كثيرو الانتقاد والسخط عليها ، داعو الإهابة بأمتهم للأخذ بثقافة أمم الشمال لأنها ثقافة عملية منتجة معتدلة خاضعة لأصول الأخلاق ، وهي التي غيرت وجه الأرض وسيطرت على العالم .

* * *

قد يعذر الأوروبي إذا وجد في الثورة الفرنسية بعض دواعي الإعجاب بجهاد قادتها ومؤرثي نارها في سبيل تحرير الفرنسيين من استبداد الملوك وجمود الكنيسة وطغيان أمراء الإقطاع ، لأنه قد يجد فيها أمراً جديداً عظيماً غيّر الحياة الأوروبية فيما مضى . . ولكن لا عذر لعربي عرف أبسط مبادئ الإسلام في العدالة والحرية والأخوة والمساواة ، وقرأ تاريخ الثورة الاسلامية الكبرى التي غيرت وجه التاريخ وأعلنت ووطدت حقوق الإنسان وجسدتها في أشخاص أقاموا دولا مستقرة عمرت عمراً طويلا .

هذا إذا تغاضى الأوروبي عن الوحشية التي طبقت بها هذه الثورة فكشفت عن قسوة النفس الفرنسية وإسرافها في سفك الدماء ، وإذا تغاضى عن تقلبات تلك الثورة وسيرها على غير هدى وعقمها عن إنتاج النتائج المستمرة التي أثيرت من أجلها كما سارت ثورات الأمم العاقلة المتدلة وأنتجت وأطردت خطوات الأمة بعدها ولم ترتد على عقبيها كارتداد فرنسا بعد تلك الثورة الكبرى .

« فليس الفرنسيون شعب التطور التاريخي البطيء ولكن شعب التغييرات الثورية الفجائية . شعب قوى الاندفاع بلا « فرامل » . وخط تطوره كثير التعرج والالتواءات ؛ ففي آخر القرن الثامن عشر قلبت الأمة الفرنسية الحكومة الملكية باسم الديموقراطية والحرية ، ومع ذلك لم تمض عشر سنوات حتى عادت فرنسا إمبراطورية مطلقة ثم ارتدت فصارت ملكية محافظة ! ثم تحولت إلى ملكية برجوازية حرة ؛ ثم كانت ثورة أخرى ردت الجمهورية الثانية . ثم انقلاب حكومي أعاد للسلطة إمبراطوراً . فلا توجد على هذا أمة كفرنسا في اندفاعها وتحولها وانقلابها[1] » .

وفي العهد الأخير قبل الحرب الحالية وصلت فرنسا إلى عهد من الانحلال السياسي ، والاجتماعي جعلها تتهالك لأول صدمة مع عدوها التقليدي ، وتتخلى عن حلفائها وتنال من نفسها بأقلام قادتها وتدبير رجالها وقد صدق مستر هرست — وهو

(١) عن الداهية الحبرى « كونيس » ترجمة للأستاذ الصاوي صديق فرنسا . وقد أعدنا الاستشهاد بهذا الذكرى .

من أشهر رجال الصحافة الأمريكية — حين قال . فى صحفه عقب سقوط فرنسا بتاريخ ٢٤ — ٧ — ١٩٤٠ « لم تكن فرنسا ديموقراطية ولا حليفة كبيرة ولا أهلا للنهوض بأعباء الديمقراطية ، ولم تكن لها سياسة مقررة خاصة ، بل كانت متقلبة فى إخلاصها وحليفة لا يمكن الاعتماد عليها لبريطانيا التى تحمل المبدأ الديمقراطى الحقيق فى قرارة نفسها ، ولما أقبلت الأزمة قصرت فرنسا ثم سقطت » .

* * *

أما المحوران الثانى والثالث اللذان يقوم عليهما أيضاً الإعجاب بفرنسا ، فقد كفانى مهمة تناولها بالنقد الأستاذ المفكر الجليل ساطع الحصرى بك الذى نشرت له الرسالة ذلك التحليل القيم « حول انهيار فرنسا » فى الأعداد الثلاثة الماضية . بل إن التصريحات الحديثة المتكررة لمفكرى فرنسا كمسيو هريو وغيره ، التى يعلنون فيها تألمهم من انحطاط معنويات الروح الفرنسية وانطلاقها وراء الشهوات والمنافع الشخصية وكراهتها للقيود المقدسة وارتدادها عن مبادىء ثورتها ، وعدم فهمها لوحى الساعة ومقتضيات الظروف العالمية الحاضرة ، مما تطالعنا به الصحف منذ سقوط فرنسا للآن لأكبر شاهد على أن فرنسا لا تصلح أن يكون لنا فيها أسوة ولثقافتها فينا تقليد وتأثير

وإنى لأوقن أن السر فى بلبلة أخلاقنا نحن المصريين واضطراب مزاجنا وذبذبتنا بين الروح الشرقية الكريمة التى كانت لنا ولا تزال باقية فى الريف ، وبين ذلك الانسلاخ الشائن والتحلل البالغ فى المدن إنما هو أثر من جوارنا للثقافة اللاتينية وخصوصا الفرنسية وتأثرنا بها

وعلى ذكر مسيو « هريو » أود أن أجلو جانباً من عداوته هو الآخر للعرب وسعيه لعدم إنصافهم ، وقد علمت بذلك الجانب حين كنت عضواً فى « الجمعية الإسلامية الأسبانية » التى تأسست فى مصر سنة ١٩٣٤ برياسة الأستاذ عبد الرحمن فهمى بك وكان من أعضائها ذلك الرجل العظيم المغفور له فؤاد باشا سليم الحجازى . ومسيو « يونسو » أحد الأسبان بمصر . وكانت أغراضها تنمية العلاقات العربية الأسبانية وتوطيد الصداقة بينها تمشياً مع تلك الحركة المشكورة التى بدأها الجنرال فرانكو لإنصاف مغاربة المنطقة التى تحت النفوذ الأسبانى من مراكش والتى كان من نتائجها الشروع فى تأسيس جامعة عربية فى مدريد تسمى « البيت العربى » لخدمة التراث العربى فى أسبانيا ويكون فيها كراسى أستاذية بأسماء ملوك العرب الذين يساهمون فى معاونتها . ودعت لذلك فعلا العلامة المرحوم الشيخ الخالدى الفلسطينى والعلامة المجاهد الأمير شكيب أرسلان للبحث والمشاورة ، ووعد الملك فيصل الأول ملك العراق الراحل رحمه الله بالإنفاق على كرسى فيها ، وابتدأت الحركة تسير خطوات نحو النجاح . فما كان من فرنسا إلا أن أوفدت مسيو « هريو » إلى حكومة أسبانيا ليحبط هذا المشروع الجليل والمسعى الكريم محذرا أسبانيا من عواقب سياسة التسامح مع المراكشيين ومبدياً تخاوف فرنسا من تسرب « عدوى » هذه الحركة إلى مراكش الفرنسية والجزائر وتونس ... وكان لفرنسا ما أرادت ووقف المشروع .

ويزور مسيو « هريو » مصر لتوطيد حياة المعاهد الفرنسية بها قبل هذه الحرب فيالنون فى الاحتفال به ولا تلقى فى أذنه كلمة عتاب ... ويزورها أخيراً فى طريقه من موسكو إلى فرنسا أثناء الأعتداء الفرنسى الأخير على الشقيقة سوريا فيحتفل به كذلك ... ولا يقولون له ما كان يجب أن يقال فى مثل هذا الظرف . كأن منادح البيان قد ضاقت عن أن تتسع للترحيب والعتاب فى آن واحد !

عبد المنعم خلاف

إلى الأحزاب المصرية

عدلوا برامجـــكم

أو انسحبوا قبل فوات الأوان !

للأستاذ سـيد قطب

أمهر اللاعبين هو الذى يعرف بالضبط متى يجب عليه أن ينسحب قبل فوات الأوان

ولـكن يبدو أن أحزابنا المصرية لا تؤمن بهذه الحـكمة ، أو لا تعرف كيف تطبقها فى الوقت المناسب

قامت هذه الأحزاب جميعاً لغرض واحد ، هو الجهاد السياسى لتحقيق الاستقلال . ويقتضينا الإنصاف أن نثبت لها جميعاً أنها قد نجحت — إلى حد ما — فى مهمتها ، وذلك على الرغم من الأخطاء التى عرضت لها فى الطريق ، ولـكن هذه كلها هنات لا تذكر إلى جانب المهمة الضخمة التى نهضوا لهـا ... مهمة الاستقلال

ولقد استغرقت تلك المهمة الضخمة كل نشاط الأحزاب السياسية — ومن حقها كانت أن تستغرقه — فلم يتهيأ لها أن تمد يبصرها إلى أبعد من الغاية السياسية ، حتى لقـد أهملت فى بعض الأحيان الالتفات إلى الجانب الاقتصادى فى هـذه المهمة السياسية ، فى وقت تصطرع فيه القـوى الاقتصادية فى العالم ، وتؤثر تأثيراً حاسماً فى كل اتجاه سياسى !

وفى خلال هذه الفترة الطويلة ، وهى تتجاوز ربع قرن جدت فى العالم أمور وأمور ، وتغيرت النزعات والاتجاهات ، لا بل ولد عالم جديد ... ولـكن أحزابنا المصرية — فيما يبدو — لا تكاد تشعر بهـذا كله . فهى فى عام ١٩٤٥ لا تزال تحصر نشاطها الحزبى كله فى دائرة الخصـومات الحزبية ، بل الشخصية ، ولا تزال تنظر إلى المجتمع المصرى كأنه المجتمع المرغوب فيه ، فإذا فـكرت فى الإصـلاح فـكرت فيه أجزاء وتفاريق على طريقة الترقيع والتجوير !

ومما لا شك فيه أن هذه العقلية ليست هى التى تستطيع مواجهة العالم الجديد

***

نحن فى حاجة إلى :

١ — برامج جديدة

٢ — وعقليات جديدة

٣ — وأحزاب جديدة

***

نحن فى حاجة إلى برامج جديدة غير البرنامج السياسى الذى استغرق جميع جهودنا فى ربع قرن من الزمان . برامج اجتماعية كاملة تؤثر فى النشاط الاقتصادى والثقافى والتشريعى ، وترسم له طريقاً واضحاً وهدفاً مقصوداً .

ولا يشك أحد فى أن العدالة الاجتماعية مفقودة فى مصر ، وقد ترددت هذه الجملة كثيراً حتى أصبحت حقيقة بديهية ، ومتى ثبت هذا فإن له مستلزمات : أولها أن توجد برامج حزبية معينة لتحقيق هذه العدالة ، فإنه خير لمصر أن يقوم الصراع الاجتماعى فيها داخل البرلمان على يد الأحزاب — كما هو الحال فى انجلترا — بدلا من أن يقوم هذا الصراع فى الشارع بلا ضابط ولا نظام !

والصراع داخل البرلمان قائم بالفعل — وإن لم يأخذ صيغة الصراع الحزبى — فالذى يراجع مضابط البرلمان فى جميع العهود تبرز أمامه حقيقة معينة . فما من مرة عرض مشروع يمس رءوس الأموال ، أو ينصف بعض الطوائف الفقيرة ، إلا وتغير التنظيم الحزبى السياسى أو انهار . ووقف ممثلو رءوس الأموال من جميع الأحزاب جبهة واحدة ناسين خصوماتهم الحزبية ، ووقف كذلك أنصار الطوائف الفقيرة جبهة واحدة

فالنضال الاجتماعى موجود الآن ومنذ نشأة البرلمان المصرى . فلماذا لا ننظمه فى الصـورة الحزبية المعروفة فى برلمانات العالم الراقية ، وهى الصورة المأمونة العواقب ، التى تحيل هذا النضال أفكاراً وقوانين ومشروعات عملية ، بدل أن يتحول حركات هدامة غير إنشائية ؟

***

ونحن فى حاجة إلى عقليات جديدة تدرك المسألة على هـذا

الوجه ، وتكون على استعداد لخلق برامج إنشائية كاملة وتنفيذها بالجرأة والحماسة الواجبتين فى هذا الظرف الذى تولد به عوالم جديدة

وأنا شديد الشك فى صلاحية عقليات الأحزاب الحاضرة ورجالاتها لمواجهة مثل هذه البرامج الكاملة ؛ فقصارى ما يفكر فيه هؤلاء الرجال هو مشروعات جزئية لا تناسق فيها ولا انسجام ، ولا تربطها وحدة تفكيرية معينة

وثمت عقبة أخرى تحول بين الهيئات الحزبية الحاضرة والاتجاه الجديد ، فهذه الهيئات أجهزة قديمة صدئة لا تستطيع أن تتحرك حرة من أثقال الماضى . ومعظم رجالها فى سن الكهولة والشيخوخة ومن العسير على الكهل أو الشيخ أن ينهج فى تفكيره وفى حياته نهجاً جديداً ، ويدع مألوفه فى خمسين عاماً أو ستين . وقليل من أفذاذ الرجال هم الذين يحتفظون برصيد من قوامهم لمواجهة التجديد الكامل . ومن هنا يخالجنى الشك المطلق فى صلاحية رجال الجيل الماضى لمواجهة مطالب الجيل الجديد

خذ مثلا لذلك الديوان الحكومى — وهو أقل مؤنة من الاتجاه الاجتماعى — فالكل مجمعون على أنه جهاز بطىء الحركة ، قليل الإنتاج ، فاسد النظام (باعتراف ديوان المحاسبة) ، فهل بين رجال الجيل الماضى من يصلح للقضاء على النظام الديوانى القائم كله ، وإنشائه على أسس جديدة فى دفعة واحدة ؟

كلهم يشفقون من هذه الخطوة الجريئة ، ويخشون أن يقف دولاب العمل ، وكلهم يميلون إلى سياسة الترقيع بدل سياسة الإنشاء ، لأن رصيدهم من القوى العصبية لا يكفى لهذا الابتكار الكامل ، ولا يصلح لمواجهة نظام مبتكر لم يألفوه فى الأربعين أو الثلاثين سنة التى عاشوها فى ظل النظام الديوانى العتيق !

وهناك أمثلة كثيرة ... ولكننا لا نمضى فى سردها لأنها ليست علة بذاتها ، وإنما هى أعراض لعلة أصيلة ؛ هى عدم وجود سياسة إنشائية مرسومة ، قائمة على تحقيق العدالة الاجتماعية وتجديد المجتمع المصرى تجديداً كاملا فى شتى الاتجاهات

وهذا التجديد الكامل فى حاجة إلى عقلية لا ماضى لها ! فى حاجة إلى عقلية إنشائية مبتكرة ، تنفر من أنصاف الحلول ، وتشمئز من منظر الترقيع فى الثوب البالى القديم ! !

* * *

ونحن — إذن — فى حاجة إلى أحزاب جديدة ذات عقلية إنشائية تنظر إلى المجتمع المصرى على أنه وحدة كاملة ، وترسم لإنشائه وتجديده سياسة جريئة حازمة متناسقة ، موحدة الروح فى شتى الوزارات والدواوين والإدارات ، وتتفاضل فيما بينها بالبرامج الاجتماعية الشاملة التى تعالج بها المجتمع المصرى المريض

وإذا قلت البرامج الاجتماعية الشاملة ، فإنما أعنى الاقتصاد والثقافة والتشريع بوجه خاص

فمن الناحية الاقتصادية نحن مجمعون على سوء توزيع الثروة العامة وعلى ضآلة الثروة القومية . أما الوسائل لمعالجة هذين النقصين فقابلة للاختلاف عليها بين الأحزاب

والبرنامج الاجتماعى الذى يعالج هذه الظاهرة لا بد أن يكون ذا أثر فى الاتجاهات الثقافية ، فيحرص على إتاحة الفرص لكل فرد إتاحة حقيقية بريئة من التهريج الحزبى ، ولن يتحقق هذا إلا بأن يجد كل راغب فى التعليم الصالح له مكاناً فى المدرسة المصرية لا يصده عنه عجزه عن النفقات التعليمية ، ولا حاجة أهله إليه ليعمل فى سبيل القوت قبل أن يتجاوز سن التعليم

ولا يكفى أن يتاح له التعليم على هذا الوجه ، بل لا بد أن يكون هذا التعليم موجهاً توجيهاً اجتماعياً معيناً يقرر مبدأ المبالاة الاجتماعية فى أذهان النشء ، حتى يصبح إحدى العقائد التى تبثها المدرسة فى نفوسهم بتعاليمها ونظمها وتوجيهاتها النظرية كذلك

وعندئذ يكون للتعليم المصرى طابع ويكون للمدرسة هدف اجتماعى بجانب الهدف التعليمى الذى تسير إليه الآن على غير قصد ولا انتباه !

والتشريع هو أحد الأدوات لتحقيق البرامج الاجتماعية الشاملة ، فيجب أن يكون للتشريع عقلية موحدة ترمى إلى أهداف موحدة ، وتتفق مع البرامج الاجتماعية بوجه عام .

* * *

والكلمة الآن للأحزاب المصرية القائمة ، ولكنها فى الأغلب لمجموعات الشباب التى لم تتقيد بماض ثقيل يشلها عن الحركة الحرة فى الاتجاه والتنفيذ على السواء

أما الأحزاب القائمة ، فقد أدت دورها ، ومن الواجب أن تنسحب من المسرح قبل فوات الأوان ، ذلك إلا أن تستطيع التجدد والتحور لتواجه الحاضر والمستقبل ، وهذا ما لا أحسبها تطيقه ، وليس فى تاريخها حتى اليوم ما يدل على أنها تراه

سيد قطب

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

— ٣ —

دعوته إلى العامية — دعوته إلى الحروف اللاتينية — دعوته إلى إلغاء الإعراب . . . .

— ١ —

« يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلامية أى عامية ، والأخرى مكتوبة أى فصحى كما هى حالنا الآن فى مصر وسائر الأقطار العربية ؛ لأن نتيجة هذه الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد ، وينقطع الاتصال الفسيولوجى بينها وبين المجتمع فلا تتطور ، ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتى الكلام والكتابة ، فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع ، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدها » ص ٤٧ .

لم يقنع المؤلف بالدعوة إلى استعمال الكلمات الأعجمية ، فعاد يحمل لهدم بنيان اللغة العربية الشامخ معولا قد حمله غيره من قبل فثلم ، وضاعت الدعوة السابقة سدى ، وستذهب دعوته هذه أباديد لا رجع لها ولا صدى ، وأية دعوة أخطر على اللغة من اطراح الكلمات العربية واتخاذ العامية لغة فنية للشعر والكتابة والخطابة ؟ وما دامت العامية محرفة عن الفصحى فلم نفضل الدخيل على الأصيل ؟

ولم لا تكون الفصحى أحق بالاستعمال ما دام القراء يفهمونها ؟ ونحن نرى فى عصرنا هذا أن كثيرين جداً من الأميين يسمعون الصحف ويفهمونها ، ويصيخون إلى الخطب السياسية والدينية ويستوعبونها ، وينصتون إلى الأغانى الفصيحة ويحفظونها ، حتى إن الغلمان الذين لم يجلسوا إلى معلم يرددون فى هذا العصر جلا مما حفظوا وهم لها فاهمون ، وليست اللغة الفصحى فى نظرى هى المحشوة بالغريب ، ولا العويصة التراكيب ، ولا الخفية المجاز ، وإنما هى التعبير الصحيح الجارى على قواعد اللغة وإن كانت مفرداتها فى متناول الجميع .

فلن تنفصل الفصحى إذن من المجتمع ، ولن تصير كلغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد ، فإن الشعب كله يفهمها ، ورقى الشعب يقربها إليه ويقربه منها .

ليس عندنا مبرر إذن لتطعيم لغتنا الفصحى بأكثر ما نستطيع من العامية ، ولا أحد يزعم أن العامية كالفصحى ثراء وسعة ومرونة وموسيقية ، فالعامية فقيرة ، وليست بصالحة لتصور المعانى الراقية أو خلجات النفوس ، فمن أراد التنفيس عما يجيش بين جوانحه من عواطف استمد من معين الفصحى الثر الذى لا يغيض ، وإذا اهتاج جرت على لسانه كلمات من الفصحى لم يزورها أو يتكلفها .

على أن العامية تختلف باختلاف الأصقاع والأقاليم ، فعامية الصعيد تغاير بعض المغايرة عامية الشمال ، وعامية مصر تخالف عامية الشام وهكذا ، فإذا أضفنا إلى لغة الأدب أكثر ما نستطيع من العامية انفصم الرباط الوثيق الذى ينتظم الأمة العربية ، ووأدنا الوحدة التى ننشدها وهى ما زالت فى المهد .

وبم تسمى اللغة الجديدة ؟ وما خصائصها المميزة لها وهى أخلاط وأمشاج من فصحى ، وعامية منشعبة منها ، ومن تركية ، ومن أوروبية محرفة ، ومن أوروبية غير محرفة دعا الأستاذ إلى اصطناعها فى المقال السابق ؟ ولسنا وجدنا بدعا فى أن لغة الكتابة عندنا تغاير لغة الخطاب ، فهذه المغايرة عامة فى اللغات كلها ، بيد أن الفرق عندنا أوضح وأبرز ؛ لطول العهد بالجهل ، والاستبداد ، ومحاربة اللغة القومية بالتركية آنا ، وبالإنجليزية والفرنسية آنا ، ولذا تقاربت اللغتان فى ربع القرن الحاضر لما ذاعت الثقافة ، وتنسمنا الحرية واعتززنا بالقومية .

ولنفرض جدلا أن الأستاذ على حق فى رأيه ، ولتتخذ لغة الأدب خليطاً من العربية والعامية ، ثم نترقب قرناً واحداً ، فإذا عامية جديدة تشتق من هذه اللغة الجديدة ؛ لأن الشأن فى لغة الخطاب الميل إلى التيسير والتسهيل وعدم التحرز من الأخطاء ، فماذا نعمل آنئذ ؟ أنؤمن بأن لغة الكتابة لابد أن تتميز من لغة الحديث المعتاد ؟ أم ننشئ لغة جديدة للكتابة ملفقة من تلك

اللغة التي اعتسفناها من الفصحى والعامية ومن هذه اللغة العامية الناشئة ؟

وما مصير تراثنا العظيم من قرآن وحديث وشعر ونثر ؟

سيصير أحاجي وألغازاً ولغة أثرية دارسة لا يفقهها إلا قلة ممن يشغفون بدراسة الآثار القديمة شأن اللغة اليونانية واللاتينية، فهما أصل اللغات الأوروبية الحديثة ولكن لا يعرفها إلا الأقلون. ربما رأى المؤلف أن الأوروبيين يترجمون روائع اليونان والرومان إلى لغاتهم الحديثة فلنصنع صنيعهم فنترجم حينئذ القرآن والحديث وروائع الشعر والنثر القديم إلى لغتنا الحديثة، وأعتقد أن هذه فكرة من الهوان بحيث لا يتجادل فيها قلمان.

— ٢ —

« وعندى أن بعض المميزات لما يقترحه عبد العزيز فهمى باشا من اتخاذ بعض الحروف اللاتنية فى كتابتنا يعود إلى أن هذه الحروف تضمنا إلى مجموعة الأمم المتمدنة، وتكسبنا عقلية المتمدنين » ص ١١٧

« والواقع أن اقتراح الخط اللاتينى هو وثبة إلى المستقبل، لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التى أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها » ص ١٣٨

أما اصطناع الحروف اللاتينية فى الخط العربى فإنه اقتراح صرعه النقد، فلا حاجة بى إلى ذكر مساوئ الموتى.

ولا أذكر أن فى مصر مؤيداً آخر لهذا الاقتراح غير الأستاذ سلامة موسى. والجديد فى تأييده أن اصطناعنا الحروف اللاتينية يضمنا إلى مجموعة الأمم المتمدنة، ويكسبنا عقليتها، ويغلق علينا أبواب ماضينا، ويفتح لنا أبواب مستقبلنا كما حدث فى تركيا.

ولو أن التمدن وكسب العقلية رهينان باستعمال خط الأمم الراقية لسهل التمدن على كل أمة متخلفة عن ركب المدنية، فما عليها إلا أن تستعير حروف أمة أرقى منها لتبلغ شأوها، وتفكر على غرارها، حتى وإن اتفقت الحروف واختلفت اللغة وتباين النطق والمعنى!

ومعنى هذا أن جميع من يلبسون الملابس الأفرنجية قد تمدنوا، وأنهم يفكرون كما يفكر الأفرنج. وما الغرابة فى هذا القياس، والزى ألصق بالمرء وأعظم تأثيراً فى شخصيته من الحروف التى يكتب بها بين الحين والحين ؟

لقد تحضرت الأمة العربية ولم تصطنع حروف أمة أرقى منها، وانفلتت أوروبا من عقالها مسترشدة بأعلام العرب وصواهم وإشعاعهم ومع ذلك لم تتخذ حروفهم، ووثبنا نحن منذ عصر إسماعيل وثبات بدون حاجة إلى حروف اللاتين لتحفزنا إلى الوثوب، أو تجذبنا نحو الهدف المنصوب. وهاهى ذى اليابان أتت بالأعاجيب فى نهضتها على حداثة نشأتها ولم تتسلف من أمة أرقى منها حروف كتابتها.

ولو أن الحروف تصنع العقلية لتساوت عقلية الأمم التى تكتب بالحروف اللاتينية، فليس المعول إذن على الحروف ولكن على الروح الذى يستعمل الحروف.

ولم تنهض تركيا لأنها استبدلت بحروفها العربية حروفاً لاتينية، فقد حدث هذا الاستبدال بعد النهوض والاستقرار، على أنها أبدلت مستعاراً بمستعار.

— ٣ —

« وليس على التلميذ من حرج أن يقرأ فيرفع المفعول وينصب الفاعل ما دام يفهم ما يقرأ، أما فى المدارس الثانوية فنشرع فى تعليم أقل ما يستطاع من قواعد النحو، ولا نبالى الإعراب الذى أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتا، والوقف فى أواخر الكلمات أى إسكانها هو الخطة السديدة التى يجب أن تتبع »

« وقد قال هربرت سبنسر إنه لم يتعلم النحو قط، وإنه درس وألف فى هذه اللغة دون أن يحتاج إلى دراسة النحو، ولا يمكن عربياً أن يقول مثل هذا القول عن لغته » ص ١٣٣

« واقتراح عبدالعزيز فهمى باشا يحتاج أولا إلى العمل بإلغاء الإعراب » ص ١٣٨

وهذا تجديد آخر، أى هدم آخر لهذه اللغة التى قاومت الأعاصير أكثر من ألف عام، وهى كالصخرة يرتطم بها الموج فينحسر، وتنهال عليها معاول الهدم فتفل وتنكسر.

التجديد المخلص للغة العربية أن يلغى الإعراب منها فيرفع المفعول وينصب الفاعل مادام القارىء يفهم ما يقول! ثم تبلبل

الأستاذ فقال إن إسكان أواخر الكلمات هو الخطة السديدة التي يجب أن تتبع ، والإسكان شيء والفوضى في الشكل شيء آخر .

ونحن نسأل الأستاذ : كيف يفهم القارئ ما قرأ وقد نصب الفاعل ورفع المفعول ؟ وروح اللغة التي يقرؤها لا تطاوعه على هـذا الفهم ، وذوق القارئ نفسه ما دام قد فهم معنى ما قرأ لا يطاوعه على هذا الخليط ، بدليل أن العرب — قبل أن تستنبط القواعد من لغتهم — كانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول بالسليقة ، لأن هذه الحركات في أواخر الكلمات ذات دلالات معنوية على المراد ؛ وهذه سليقة فيهم توارثوها وتناقلوها كما يأخذ أبناؤنا في هذا العهد عنا أوضاع لغتنا العامية .

ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني في الرد على منكري ضرورة النحو : « وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له ، أو إصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم ، وأشبه بأن يكون صداً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ؛ ذاك لأنهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه ، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه هو المعيار الذي لا يتبين نقصانه كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه ، وإلا من غالط في الحقائق نفسه » .

ثم يقول مبيناً أن النحو نبراس لفهم المعنى بدقة : « وإذا نظرتم في الصفة مثلا فعرفتم أنها تتبع الموصوف ، وأن مثالها قولك : جاءني رجل ظريف ، ومررت بزيد الظريف ، هل ظننتم أن وراء ذلك علماً ؟ وأن ها هنا صفة تخصص وصفة توضح وتبين ؟ وأن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح ، كما أن فائدة الشياع غير فائدة الإبهام ؟ وأن من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ، ولكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم (أمس الدابر) ، وكقوله تعالى : (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) ، وصفة يراد بها المدح والثناء ، كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جده ؟ وهل عرفتم الفرق بين الصفة والخبر وبين كل واحد منها وبين الحال ؟ وهل عرفتم أن هذه الثلاثة تتفق في أن كافتها لثبوت المعنى للشيء ثم تختلف في كيفية ذلك الثبوت ؟ »[1]

فالنحو في رأي الجرجاني ليس لصحة الشكل فقط ، بل وللتعبير الدقيق عن المعاني ، وللفهم الدقيق لهـذه المعاني ، فهو إذن من صميم اللغة وجوهرها .

وأما الزعم بأنه لا يستطيع عربي أن يجيد لغته بدون تعلم النحو فيدحضه أن العرب — إلى أن خالطوا العجم في الإسلام — كانوا يجيدون لغتهم غير مفتقرين إلى تعلم النحو ، وأن البارودي في هذا العصر أجاد اللغة فهما ، وأجاد الشعر نظما ، ولم يتعلم النحو ، وذلك بكثرة القراءة والحفظ ، لأنهما أجدى على المتعلم من قواعد النحو التي لا يصحبها تطبيق متكرر .

استمع إلى ما يقوله الشيخ حسين المرصفي في الوسيلة الأدبية عن البارودي وهو من أعرف الناس به : « محمود سامي البارودي لم يقرأ كتاباً في فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع بعض من له دراسة وهو يقرأ بعض الدواوين ، أو يقرأ وهو بحضرته حتى تصور في برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ... ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة ، واستثبت جميع معانيها ، ناقداً شريفها من خسيسها ، ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالأمراء » .

وقد فطن ابن خلدون قبل ذلك إلى أن الطريقة المثلى في تعليم اللغة المرانة وكثرة الحفظ والقراءة ، لينطبع لسان المتعلم وفكره على اللغة ، وقرر أن سكان الأمصار أشد إغراقاً في اللحن من سكان البوادي ؛ لأنهم لقنوا أول الأمر لغة ملحونة فاعوجت ألسنتهم واختلطت لغتهم ، فالنحو وحده لا يكفي بل لابد من مخالطة الأعراب والتدرب على محادثتهم لأن اللغة ملكة والملكات لا تكتسب إلا بالتكرار والارتياض والمران ، فقد كان العربي يحاكي أهله في نطقهم وتعبيرهم كما يحاكي الطفل أهله في النطق بالمفردات والتراكيب ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم » .

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٣ .

لغـــة السياسة

للدكتور عبد العزيز برهام

للسياسة لغة تختلف كل الاختلاف عما تواضع عليه الناس . إذ من المهارة السياسية أن تصل إلى أغراضك ولو من طريق ملتو . وقديماً قيل : الغاية تبرر الوسيلة . وأنه ما دام للمائدة آداب وللحفلات آداب ، وللزيارات آداب ... فلماذا لا يكون للسياسة آداب كذلك ؟ ومن مظاهر آداب السياسة أن تكون لغتها من الرقة والسمو بمكان ، بحيث لا تشعر المتحدث إليه بالرغبة فى السيطرة عليه أو استغلاله . فلغة « الأمر » قد تسمى بلغة « النصح » . وبداهة أن النصيحة لا تقيد المنصوح له برأى الناصح ولا تلزمه الأخذ به ؛ فله كامل الحرية إن شاء أخذ وإن شاء يذر؛ ولكن لها عند بعض الساسة معنى آخر . فإذا تفضل عليك ناصح بألا يطرح مشروع كذا فى مناقصة ورأيت أنت أن الخير لك ولوطنك فى غير ذلك عتب عليك فى عدم الأخذ بمشورته عتابا قد يكون مراً ، وقد يبلغ درجة اللوم والإحراج والتوعد ، وإذا نصحك بكذا وكيت لهوى قد يكون فى نفسه ولم تتابعه فى رأيه تململ واستاء ، لأن « النصح » على لسانه نصح من « نوع خاص » .

ولقد يتطوع لزيارتك زائر كريم ، ويتحدث إليك فى أمور يكثر الجدل فيها ، وتتناقلها الألسن ، ثم يبدى لك فى أدب جم بأن « من رأيه » أو « من رأى حكومته » أن تحل المقدة بكذا وكذا ، ثم يتركك وقد فهم كل منكما ما انطوت عليه سريرة الآخر ، وهو فى سعيه مشكور شكر الناصح المخلص . وإذا المشروع يطوى ، والجو يصفو ، والنفوس تهدأ ، ويعود الأمر كما بدأ ، وتصفق الأيدى للحل السعيد .

وقد يكفى مجرد « إظهار الضجر وعدم الرضا » لإيقاف المتحرك وتحريك الساكن . فإذا لم يُظهر بعض الدوائر المالية ارتياحا إلى أن تكون اللغة العربية هى لغة وطنها ؛ وإذا ارتأت دور الحيالة فى استخدام هذه اللغة فيا تعرض من أشرطة حرجا عليها فمعناه بلغة السياسة : قنوعا بما رضى الدخيل بمنحك إياه ، وشكراً له على تفضله .

« والمركز الممتاز » فى عرف الساسة الطالبين له هو صنيع يؤدى إلى من يطلب منه منحه : وكيف لا والدافع إليه شدة الحدب على المهيض الجناح ، والحرص على المحافظة عليه ؟ فالجيش

ولهذا رأى (فترينو) زعيم التربية الأدبية فى إيطاليا أن أنجع حيلة لتعلم اللغة اللاتينية للأطفال أن يجعلها لغة المحادثة منذ الصغر يتفاهمون بها ، ويتحدثون مع أستاذهم ، على أنه عنى بتجويد نطقهم ، وجودة إلقائهم ، وتمثيلهم للمعانى .

ولهذا أيضاً كانت عادة العرب ولا سيما الخلفاء أن يرسلوا أولادهم إلى البادية لتنشئتهم على الفصاحة فيما ينشئون عليه .

فليس بدعا إذن أن يتعلم سبنسر اللغة الإنجليزية بدون قواعد .

وليس مستحيلا ولا عسيرا فى كثير أو قليل أن يتعلم أحد اللغة العربية أيضاً بدون قواعد ، فقد كان هذا يحدث فعلا ، وقد دعا إلى انتهاجه بعض المربين كابن خلدون . ليس الصواب إذن فى إلغاء النحو ، إنما الصواب فى تبسيطه وتيسيره ، وأن نتوخى سلامة التعبير فيما يسمعه التلميذ ويقرؤه ، وأن نكثر من تمرينه وتدريبه .

وبعد فالمدارس المصرية تعلم من النحو نتفاً ضرورية لا غنى عنها فى استقامة الأسلوب وفهم المعانى ، وشتان بين معهد درس فيه الأستاذ بعض النحو دراسة نظرية جافة مملة وبين تدريس النحو فى هذا المعهد تدريساً نظرياً عملياً مشفوعا بالتطبيقات .

ثم لماذا يحرص الفرنسيون مثلا على أن يعلموا الدارسين للغتهم من أبنائهم ومن غيرهم قواعد لغتهم ، وهى أحيانا أكثر تشعبا من قواعد اللغة العربية مع رغبتهم فى نشرها وسيادتها وتيسير تعلمها على الراغبين ؟

وإذا كان الإعراب قد كاد يكون خصيصة للغة العربية وحدها بعد أن قل فى الألمانية فإن الوسيلة الوحيدة لتيسيره ليست إلغاءه بالتسكين ، ولا الفوضى فى نطق الحركات كيفما جرى بها اللسان ، وإنما بكثرة القراءة والمران ، والتدريب على القواعد الموضوعة لهذا اللسان .

(يتبع)

أحمد محمد الحوفي
المدرس بالسعيدية الثانوية

الدخيل الذي يحتل أرضه ليس له من مأرب إلا رد للمتدين عنه ، والثقافة التي تفرض عليه إنما يراد بها رفع مستواه العلمي والخلقي ، ومدارس التبشير ليست إلا لهدايته سواء السبيل ... ولكنه في الواقع والحقيقة انتقاص شائن من حرية من يسلم به ، واعتداء على كرامته واستقلاله ، واعتراف منه بأنه ليس لهذا الاستقلال أهلا

ومن غرائب الصدف أن لغة السياسة من نصائح مسداة ، وآراء مبذولة ، وامتيازات مطلوبة ، لا تتخذ هذا المنى « الرفيع » الخاص إلا إذا جرت على لسان قوى وتحدث بها إلى ضعيف أو إلى من يظن فيـــه الضعف . فالدول الكبرى في مؤتمر (سان فرنسيسكو) تنصح عملياً للدول الصغرى بأن تقلل من شطحاتها وبأن تتعلم الطاعة وتستسلم صاغرة لما يراد بها ، ولكن إذا ما جد خلاف بين بعضها هي وبين بعض كانت لغة التوفيق ذات معان أخر وذات أسلوب آخر .

والسياسي الماهر هو الذي يقف من خصمه موقف مفسر الأحلام الذي استدعاه أحد الملوك ليفسر له حلماً أفزعه . وعلم المفسر أن قد سبقه في هذا المضمار آخرون قربت للقصلة آخرتهم ؛ لأنهم أخبروا الملك أن جميع أفراد أسرته سيموتون قبله وسيموت هو بعد ذلك . فلما أحضره الملك بين يديه وسأله عن تعبير رؤياه أجابه : ستكون أطول أفراد أسرتك عمراً .

و (الدبلوماسي) البارع هو الذي لا يضع السيف في موضع الندى ، والذي يصل بمعسول ألفاظه إلى ما لم تصل إليه القنابل الطائرة .

لما أخفقت الحملة الفرنسية على (مصر) وخشي (نابليون) أن يكون في رحيل جنوده عن (وادي النيل) ما يذهب بالأثر الثقافي والعلمي الذي تركته بحث عن رجل يمثل (فرنسا) في (مصر) وتكون رسالته « أن يحافظ على النفوذ الفرنسي رغم الهزيمة ، وأن يؤسس بالطرق (الدبلوماسية) ما عجزت الأسلحة عن تشييده » فوقع اختياره على (متيو دليسبس) Mathieu de Lesseps . وكانت وصية (تلليران) Talleyrand له وهو يودعه : « اتخذ لنفسك صديقاً : رجلا من بين خصومنا ، وسيكون في صداقتك له ما يجعل منه واحداً معنا » — وكلنا يذكر ما كان لصداقة هذا (الدبلوماسي) لمحمد علي وبنيه من الأثر الكبير

في نجاح مشروع فتح (قناة السويس) .

ولقد أدخل القرن العشرون في معجم السياسة كثيراً من الألفاظ التي غيرت من مدلولها ، وأضاف مؤتمر (سان فرنسيسكو) إليه مصطلحات جديدة . فبعد أن كنا لا نسمع إلا ألفاظ الاستعمار والانتداب والحماية ... أصبحنا نسمع كذلك ألفاظ الوصاية الفردية والوصاية الدولية ... ومن يدري فربما أضيفت إليـه في المستقبل صفحات .

والحق أن الغاية من كل هذا واحدة : إخضاع الضعيف لسلطان القوى ، شأنه في ذلك شأن الذئب والحمل الذي قيل إنه كان يعكر عليـه الماء . وسواء لدى القوى أطلب منه الضعيف الوصاية عليه أم لم يطلبها ، فهو في الحالين أهل لهذه الوصاية . ومن حق القوى أن يأخذ بيده حتى يصل به إلى درجة البلوغ الإنساني ليستحق بذلك أن يكون عضواً في جماعة الإنسانية .

ولو أنك سألت (عصبة الأمم) لماذا قررت (وضع سورية ولبنان) تحت الانتداب الفرنسي، لأجابتك في كثير من البساطة ، لتساعدهما على النهوض والاستقلال بأنفسهما ، ولتصل بهما إلى درجة من الرقي والحضارة تجعلهما أهلا لعضوية هذه العصبة . ولكنك لو سألت اليوم (فرنسا) لماذا لا تترك هذه البلاد بعد أن أدت فيها رسالتها (ما دامت الرسالة لم تكن الغاية منها إلا مصلحة الشعب المغلوب على أمره) أجابتك ، وعلى شفتيها ابتسامة : والمنشئات الحربية ، والمواقع (الاستراتيجية) والمدارس والمستشفيات والكنائس التي أسسناها ... ؟ أتريدنا على أن نترك كل هذا دون عوض وأن ننصرف كما قدمنا ؟ ولماذا إذن كانت كل هذه الجهود التي بذلنا قِراب عشرين عاما ؟ وكيف يجرؤ الشعب الذي امتصصنا دمه وأذقناه الذل والهوان ، وحاولنا وضع بذور التفرقة بين وحداته على إنكار ما أسدينا إليه من صنيع ؟

قلت ما أحكم قول شاعر المعرة :

وأرض بت أقرى الوحش زادى / بها ليثوب لى منهن زادُ

فأطعمها ؛ لأجعلها طعامى / ورب قطيعة جلب الودادُ

عبد العزيز برهام

تسوية المنازعات الدولية

للأستاذ نقولا الحداد

قرأنا بالأمس النص الرسمي لميثاق السلم والأمن فلم نر فيه الضمانة التامة للسلم والأمن ، على الرغم من بذل كل مجهود فى سان فرنسيسكو .

فى هذا الميثاق هيئتان كبريان للحرص على الأمن الدولى : الأولى الجمعية العمومية المؤلفة من جميع الأمم المتحدة التى كانت ممثلة فى مؤتمر سان فرنسيسكو . والأخرى مجلس الأمن وهو مؤلف من أحد عشر عضواً ، خمسة منهم ذوو كراسي دائمة فى المجلس وهم بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية وروسيا والصين وفرنسا . والستة الباقون تنتخبهم الجمعية العمومية من سائر الأمم المتحدة الأخرى لمدة سنتين ثم ينتخب غيرهم .

على أن حبل الأمن والسلم فى يد هذا المجلس وهو أهم ما قرره المؤتمر ونص عليه فى هذا الميثاق . ولذلك نتساءل الآن هل يصون هذا المجلس سلام العالم ؟

كان العيب الأكبر فى جمعية الأمم السابقة التى تمخضت بها شروط الصلح بعد الحرب الماضية أنها لم تكن مسلحة لكي يمكنها أن تنفذ قراراتها . ولم يُتَح لها من وسائل التنفيذ سوى وسيلة واحدة وهى التوصية بمقاطعة الدولة المعتدية . ومع ذلك كانت هذه الوسيلة أضعف من الضعف لأن العمدة فيها كانت مروءة الدول أعضاء الجمعية . وليس للدول كما نعلم مروءات ولا ضمائر توجب عليها تنفيذ العهود .

وقد امتُحِنَت جمعية الأمم وضمائر الدول فى بعض المواقف فخابت . وكان آخر امتحان لها فى قضية اعتداء إيطاليا على الحبشة فحكمت الجمعية بمقاطعة إيطاليا . فما من دولة نفذت هذه المقاطعة ، اللهم إلا انكلترا لأنها كانت فى الحقيقة هى لا جمعية الأمم ، خصم إيطاليا ، بل كانت هى وحدها جمعية الأمم وبقية الأمم الأخرى ذيولاً لها . وأما فرنسا فعكست حكم المقاطعة بأن أقرضت إيطاليا حينئذ عشرين مليون جنيه بدل أن تمتنع عن مساعدتها .

هذا كان أمر جمعية الأمم المرحومة . فما كانت إلا قصبة مرضوضة لا حول لها ولا طول ، فما صانت سلاماً ولا حفظت أمناً ولا منعت حرباً . فهل مجلس الأمن الذى وُلِد بالأمس أكثر طاقةً وأفعل سَوْلةً منها فى حفظ السلام ؟ كان عيب جمعية الأمم المغفور لها أنها كانت عزلاء من السلاح . فهل مجلس الأمن الجديد مولود مسلحاً ؟

يستفاد من الفصل السادس ، فصل تسوية المنازعات ، من مادة ٣٦ إلى مادة ٥٥ ، أن مجلس الأمن يبذل كل مجهود لفض النزاع بين الدولتين المختصمتين بالطرق السلمية . وما عهدنا نزاعاً انفض بالطرق السلمية إلاّ نادراً جداً بين دولتين متعادلتين قوة وسلاحاً . وأما إذا كانت إحداهما أضعف من الأخرى فلا يجدى إظهار الحق ولا محكمة العدل جدوى فى التسوية بينهما سلمياً . فإما أن تستسلم الضعيفة مغلوبة على أمرها مغبونة ، أو أنها تدافع عن حقها مستنصرة بدولة أخرى ذات مصلحة .

فهل لمجلس الأمن المحبوب قوة حربية توقف الدولة المعتدية عن حدودها وتردها عن عدوانها ؟

المادة ٤٦ تخول مجلس الأمن أن يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والبريدية والبرقية واللاسلكية الخ ؛ وقطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول المعتدية .

وهب أن بعض الأمم المتحدة امتنعت عن أن تلبى هذا الطلب (كما حدث فى مسألة الحبشة إذ لم تقاطع أى دولة إيطاليا) فما الذى يرغمها على تلبية الطلب ، أتوقيعها على الميثاق ؟ فما كان توقيع المواثيق يوماً من الأيام مقدساً محترماً . ما كان إلا قصاصة ورق .

ولمجلس الأمن أن يقرر استخدام القوة وأن يطلب من الأمم المتحدة تقديم القوات المسلحة وفاء بالالتزامات فى مادتى ٤٧و٤٨ . فإذا نكصت بعض الدول عن تقديم المساعدة الحربية فمن يلزمها

أن تقوم بتعهداتها ؟ وهب أن الدول (أعضاء مجلس الأمن) اختلفت فيما بينها بشأن تنفيذ خطة المجلس أو قراره ثم تحولت الخصومة الصغرى إلى خصومة كبرى بين جانبي الدول فمن يحسم هذا الخلاف ؟

لنفرض مثلا أن رفعت الدولة السورية (وحينما نقول السورية نعني اللبنانية أيضاً) شكوى من فرنسا المعتدية ، ورأى مجلس الأمن أن لابد من استعمال القوة ضد فرنسا لأنها لم تذعن . وهب أيضاً أن بعض الدول تحيزت لفرنسا وأصرت على هذا التحيز ولم يعد ممكناً صدور قرار من مجلس الأمن ، أوأنه صدر قرار يستوجب طلب قوات حربية من الدول لإكراه فرنسا على الإذعان ولم تلب بعض الدول الطلب ، أفلا يمكن أن يتحول هذا الخلاف في المجلس إلى خلاف كبير بين الدول ويعرضها الحرب هائلة ؟

قد تقول هذا فرض بعيد الحدوث جداً لأن الدول تعهدت وهي الآن في ظروف وأحوال تدعها تستحي من نكث عهودها . ولكن بعد سنين أو عشرات السنين يسقط برقع الحياء ولا تعود تحترم عهودها. فإذن الفصل السادس من الميثاق لا يضمن السلام « على طول » ، أولا يضمنه غداً .

لو كانت نية جميع الدول حسنة وقد خلت من المطامع والمخاوف لكان في إمكانها أن تجعل مجلس الأمن قوة حاسمة لكل خلاف بين الأمم صغيرة وكبيرة .

قد تقول : وكيف ذلك ؟

لو قررت الدول المؤتمرة في سان فرنسيسكو أن تضع كل دولة كبيرة وصغيرة على الفور تحت يد مجلس العدل قوات حربية جوية وبرية وبحرية الخ بحيث يفوق مجموع هذه القوات قوة أعظم دولة — كل دولة تقدم بنسبة طاقتها — . ومجلس الأمن يجعل قواد هذه القوات وضباطها من غير جنسها تفادياً للتمرد ، وأن يفرق هذه القوات مختلطة في مراكز رئيسية بحيث تكون مستعدة للعمل بسرعة عند الطلب — لو قرر المؤتمر تسليح مجلس الأمن على هذا النحو ونفذ قراره في الحال ، إذ يكون أعضاء المؤتمر في حماستهم وإبان شوقهم إلى السلام ، لكان مجلس الأمن هذا مجلساً دولياً مسلحاً حقيقة ، وكان في إمكانه أن ينفذ قرارات الأكثرية بلا تردد ولا خوف من الشقاق

ومتى تم للمجلس هذا التسليح العظيم أمكنه أن ينزع سلاح جميع الدول ولا يبقى لها إلا ما هو ضروري لحفظ الأمن الداخلي

على هذا النحو يكون المجلس الدولي مجلس أمن حقيقة ، وبه يصان السلام . ولكن ظهر من الميثاق الرسمي للسلم والأمن أن الدول دخلت قاعة المؤتمر وليس في قلوبها صفاء ، ولا في ضمائرها نيات طيبة إلى النهاية

لست أتشاءم من مجلس الأمن، هذا الذي تمخض به المؤتمر، فهو خطوة أخرى أفضل جداً من جمعية الأمم المرحومة . وإن شبت حرب ثالثة عظمى لا سمح الله بعد عجز مجلس الأمن عن تداركها — وإن بقي بعدها مدنية — فسيكون مجلس الأمن القادم بعدها كما وصفته آنفاً .

وإلى الملتقى .

نقولا الحداد

التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

- ٦ -

أخيراً استجابت والحمد لله وزارة المعارف لما سبق أن وجهناه إليها في أوقات مختلفة من نداءات متكررة هاتفة بضرورة توحيد المرحلة الأولى من التعليم العام في سبيل إيجاد أساس موحد للثقافة بين أبناء البلد الواحد وفي سبيل محو الفروق بينهم في هذه المرحلة البدائية الضرورية لكل ناشيء. فلقد جاء في الحديث المستفيض الذي أدلى به عن التعليم معالي وزير المعارف لمراسل الأهرام بتاريخ ٥ يونيه سنة ١٩٤٥ بعد الكلام عن المشاكل التعليمية الوقتية وبصدد الكلام عن المشاكل الأصيلة ما يأتي: أن في مقدمتها (أي المشاكل الأصيلة) مشكلة التعليم الإلزامي، ففي مصر ما يقرب من ثلاثة ملايين من الأطفال في سن التعليم الإلزامي لا يتاح التعليم منهم الآن فعلا إلا أقل من مليون طفل. وهذا فضلا عن أن التعليم الذي يتلقونه في المدارس الإلزامية تعليم يجمع الرأي على أنه فاشل. لذلك كان واجبنا الأول العمل على تعميم المرحلة الأولى من التعليم بأسرع ما يمكن. وليس هناك أي مبرر لتعدد أنواع التعليم في تلك المرحلة من إلزامي وأولي وابتدائي فهذا نظام عتيق مناف للديمقراطية عدلت عنه جميع الأمم الأخرى الراقية وانتهت إلى توحيد المرحلة الأولى لجميع الأطفال. وبعد كلام آخر عن المجانية في التعليم الابتدائي إختتم معاليه كلامه في هذا الموضوع بالذات بقوله: «لذلك تتجه سياستي إلى العمل على توحيد التعليم الإلزامي والأولي والابتدائي في مدرسة واحدة مشتركة تأتي بعدها المراحل الدراسية الراقية لكل طفل يظهر استعداداً لها. ويلي ذلك مرحلة تدعى مرحلة التعليم المتوسط ثم مرحلة التعليم الثانوي. وكل هذه المراحل لا تتجاوز ثلاث عشرة سنة».

وإنه لاتجاه جميل جداً بل اتجاه ديموقراطي مستقيم أن تتوحد للمرحلة الأولى في التعليم الإلزامي والأولي والابتدائي وتنضم جميعها في مدرسة واحدة لتتكون منها المرحلة البدائية في التعليم؛ غير أنا نرجو أن تتوحد هذه المرحلة توحيداً لا يمس ثقافة الناشيء ولا ينتقص منها شيئاً عن طريق إقلال مدة التعليم فيها. إذ أن التنظيم الجديد يستدعي إيجاد مرحلة وسطى بين التعليمين الابتدائي والثانوي الحاليين ويستدعي جعل مدة التعليم في المرحلة الأولى الجديدة أربع سنوات فقط، مع أن مدة هذه المرحلة كانت عندنا سبع سنوات في رياض الأطفال مع التعليم الابتدائي الحالي وست سنوات في التعليم الإلزامي الحالي الذي نشكو قلة فائدته ونسيان التلاميذ لما يتعلمونه فيه بعد الانتهاء منه، أو بقول أعم نشكو فشله كما جاء في تصريح معالي الوزير آنفا. ولذا فأنا نرى أن الناشيء على النظام المقترح لا يمكن أن يستفيد فائدة معقولة من المرحلة الأولى الجديدة إلا إذا تابع دراسته في المرحلة الثانية كلها وليس عندنا ما يلزمه بذلك. وفي هذا ما فيه من فشل المرحلة الأولى إذا اقتصر الطفل عليها فقط. وكثير جدا أولئك الأطفال على ما نعتقد الذين ستضطر الظروف أهليهم إلى الاقتصار على هذه المرحلة فقط دون السير في المرحلة الوسطى.

إن هذا النظام المقترح لم ينفذ في انجلترا إلا حديثاً بعد تطورات كثيرة في نظم التعليم وبعد أن محيت منها الأمية وبعد أن استعدت له البلاد بالمعلمين اللازمين وبالأبنية الضرورية للمدارس، وبعد نقاش وجدل وأخذ ورد كثير في لجان مختلفة، من لجنة هادو إلى لجنة أسبن إلى لجان أخرى. وكانت بعض المدارس قبل تنفيذ هذا النظام في انجلترا تجمع بين الأطفال والمراهقين وتحتم على الطفل أن يتابع التعليم فيها من الطفولة إلى المراهقة. ولذا فأن الكثيرين من رجال التعليم عندنا يرون أن الأخذ بهذا النظام اليوم يعد طفرة غير ملائمة، وربما كان ضرره بالتعليم أكثر من نفعه خصوصاً أنه يتطلب الآن زيادة كبيرة في أمكنة المدارس وفي عدد المعلمين اللازمين بما لا يقل عن الثلث، لأن فيه زيادة مرحلة بين مرحلتين وهي زيادة ضخمة لا نطيقها الآن خصوصاً بعد التجربة التي قاستها البلاد على حساب الثقافة العامة في تنفيذ مجانية

العام المنصرم، وقد لمس ذلك معالى الوزير بنفسه وصدر به تصريحاته عن المشاكل الوقتية فى التعليم فقال حفظه الله: « إن معظمها ناشىء من الخطة التى سارت عليها الوزارة فى السنوات الأخيرة من إرغام المدارس على قبول عـدد من التلاميذ يزيد كثيرا على ما تتسع له وتستطيع تعليمه والإشراف عليه إشرافاً مثمرا من غير عناية بأعداد المبانى والكتب والمعدات اللازمة لمواجهة الزيادة فى التلاميذ وإعداد المعلمين الصالحين لها . . » ثم ذكر معاليه فى سياق حديثه عن مجانية التعليم الابتدائى ما يأتى : « وقد شملت الفوضى امتحانات القبول بالمدارس الابتدائية وإنشاء الفصول إنشاء مرتجلا من غير إعداد المبانى ولا الأدوات اللازمة . وا كتظاظ المدارس والفصول اكتظاظاً لا يقل عنه بالمدارس الثانوية ، ونقص المدرسين فى المدارس عن العدد اللازم ، واستمرار حركة التنقلات شهوراً بعد بدء الدراسة لمحاولة سد ذلك النقص . » ولذلك فأنا ندعو الله لمعالى الوزير الجليل بالتوفيق ونعيذه من أن ينال مشروعه من النقد ما نال غيره ؛ لأن التنفيذ السريع لهذا المشروع الضخم الكبير ربما يجرنا إلى ورطة أكبر من ورطة مجانية التعليم الابتدائى . من أجل ذلك نرجو التريث فى الأمر وعرضه على بساط البحث بين رجال التعليم على اختلاف طبقاتهم لتمحيصه والاقتناع به حتى يخلصوا فى تنفيذه إذا جد الجد ، كما نأمل أيضاً فى معالى الوزير الديموقراطى أن يعرض الأمر على المجلس الأعلى للمعارف الذى نرجو أن يجتمع قريباً وأن يكون فى تشكيله مجلساً قومياً ممثلا لجميع الأحزاب حتى يتكون فى صف المشروع رأى عام قوى لا تزعزعه العواصف ولا يفكر فى إلغائه يوماً ما فيكون نظام التعليم عرضة لانقلابات تنزل به هزات وضربات قد تؤخره لا قدر الله وترجعه أعواماً إلى الوراء .

ثم إنا نرجو بعد أن اقتنع معالى الوزير بفكرة توحيد التعليم فى مرحلته الأولى أن نضع تحت نظر معاليه مشروعاً آخر نرى أنه أكثر مـلاءمة لحالتنا الراهنة إذ ليس فيه قلب للأوضاع القائمة ونأمل أن يدرس بجانب للمشروع الحالى :

ذلك أن يوحد منهج التعليم فى المدارس الأولية والإلزامية والابتدائية الحالية على أساس جعل مدة الدراسة فيها ست سنوات كاملة تنتهى فى سن الثانية عشرة على أن يكون المنهج خالياً من اللغات الأجنبية التى تبـدأ دراستها فى مرحلة التعليم الثانوى لمن يستأنف دراسته فيما بعد ذلك ، وأن يخصص نصف وقت الدراسة أو أكثر فى جميع مدارس المرحلة الأولى للثقافة العامة المشتركة التى يجب أن تحوى مقداراً معيناً من أسس الثقافة كاللغة والدين والحساب الخ ، ويترك باقى الوقت لدراسة المنطقة المحلية ليكون تحت تصرف الهيئة التعليمية المشرفة على المنطقة تتولى هى وضع المنهج المحلى اللازم له باتفاق المدرسين والنظار والمفتشين . ثم يتفرع التعليم بعـد ذلك فى المرحلة الثانية إلى فروعه المختلفة بين ثانوى وزراعى وصناعى وتجارى الخ ؛ وأعتقد أن الشطر الأول من هذا المشروع كان قد تقدم باقتراحه أو باقتراح قريب منه على الوزارة بعد دراسته دراسة فنية معهد التربية فى سنة ١٩٣٤ عند النظر فى تنقيح خطط التعليم ومناهجه .

وإنى أسأل الله أن يوفق العاملين إلى ما فيه وحدة الأمة والنهوض بثقافتها ورفع مكانتها بين أمم الأرض جميعاً .

عبد الحميد فهمى مطر

يا فرنســـا . . .

[ادعت فرنسا أنها حامية سوريا ولبنان]

للأستاذ حسن أحمد باكثير

يا فرنسا ! يا بلاداً حاربت حيناً فَتُلَّتْ للجبين
صمــدت للغزو أسبوعين ثم استسلمت للمعتدين !
يا بلاداً حررتها قوة الأحلاف من رقٍّ مهين ؟
اسمعى ثم اسمعى سخرية الأقــــدار مما تزعمينْ
إنها تضحك نكراء الصدى والجرس جشاء الرنين
إنهـــا تضحك ملء الكون والأزمان مما تدعين

—

ادعى أنك تبغين لنا خـــيراً بقتل الآمنين !
ادعى أنك تحمين حمانا ببنيك الظافرين !
ادعى ما شئتِ زوراً واذكرى إذ سمت خسفاً منذ حين
واذكرى إذ عجزت كفاك عن أن تدفعا عنك المنون
واذكرى ما ذقت من عسف ومن خسف ومن ذل وهون

—

أتظنين شعوب الضاد كالسنغال قوماً صاغرين ؟
تستبدّين بهم مثـل ضحايا الرق فى خالى القرون
من ستحمين من العدوان ؟ هل تحمين آساد العرين ؟
ثم ممّن ؟ أمن الأحلاف ؟ والأحلاف ليسوا ظالمين
أم من الأعداء ؟ والأعداء قد نالوا جزاء المجرمين
نحن لا نبغى حماة فاذهبى واحمى بنيك الباسلين

—

يا فرنسا ! يا بلاداً حاربت حيناً فُتلَّت للجبين !
يا بلاداً حررتها قوة الأحلاف من رقّ مهين !
احذرى أن تستفزّى أمة قد أقسمت ألاّ تهون
أمـــة أمجادها تزداد إشراقاً على مرّ السنين
أمة مقدامة ترنو إلى مستقبل ضاحى الجبين
أمة تحمى حماها بالدم القـــانى وبالعزم المكين

حسن أحمد باكثير

عرائس محطة الرمل

للأستاذ ادوار حنا سعد

هل طافت أبكارُ الجنــه — بكؤوس السحر وبالفتنه
أو تلك عرائس أمواج — من بحر قد سئمت سجنه ؟
حسن الأملاك ووسوسة الـ — ـخناس وإغواء الجِنــه
أضـــداد باتت تعجبنى — بالرمل وأعجب منهنــه

—

قد خطرت بالشعر الداجى — وجدائل صـفر الأمواج
وغدائر فرع رفاف — فضىٍّ كالمـاء الساجى
ومزاج منها مختلف — درجات ... أحبب بمزاج
قد عقصت تاجاً أو تركت — تهفو بالعطف الرجراج

—

من كل طروب فى خجل — أو كل شرود فى جذل
الشرق مع الغرب... التقيا — فى غالى الحسن ومبتذل
وجمال ساج من نصَف — وشباب زاكٍ مكتمل
تاه العشاق بمَن صحبوا — وبقيت بنسكى للفتمل

—

موسيقى الخطوة رقراقه — أغرت بفؤادى أشواقه
وثياب الفتنة قد لمت — غيداء الذيل وخفاقه
ألوان الطيف وأعطار — كالزهر تؤلفه باقـــه
الجسم بها كاسٍ عارٍ — يُذْكرك التين وأوراقه

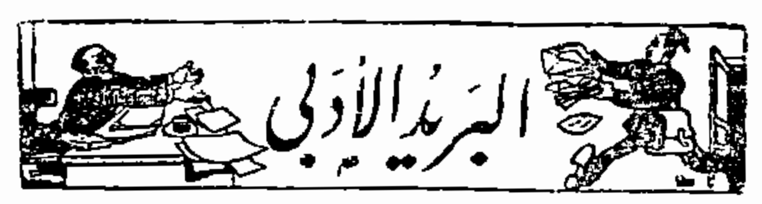
—

غامت عيناى من الطرب — كفَراش يرقص للهب
مرت ناعمة ما التفتت — ورنت فاتنة لم تجب
وأجابت عينا ساحرةٍ — قد خف سواك إلى أربى
وهفت لندائى (غانية) — فذممت سُراى ومنقلبى

—

الروح الحيرى ما هدأت — والبيض الخرّد مافتأتْ ...
تغرى الأحلام وقد سكنت — وقلوب الشيب وقد صدأت
سبحانك ربى... كم أبدت — عظة الأجساد وكم خبأت
من طين صلصالٍ خلقت — وإليك تعود كما بدأت

الاسكندرية — ادوار حنا سعد



من معالي مصطفى عبد الرازق باشا إلى الدكتور عثمان أمين (*)

صديق الأستاذ الدكتور عثمان أمين

أول من ترجم للشيخ محمد عبده ، وعنى بنشر آثاره هو السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » . والسيد رشيد رضا هو أول من لقّب الشيخ محمد عبده بالأستاذ الإمام . وهذا اللقب نفسه ينبئ بالصورة التي أراد أن رسمها السيد رشيد لشيخه فيما كتب عنه ، وينبئ بالفكرة السائدة في وجهة نظر التلميذ إلى أستاذه .

الشيخ محمد عبده عند السيد رشيد رضا إمام من أئمة الإسلام ، له في الدين مذهب يقوم أصحابه على روايته وتدوينه كما قام أصحاب أبي حنيفة والشافعي وغيرهما على ما لأولئك الأئمة من مذاهب .

وإذا كان الشيخ عبده إماماً في الدين ، فالسيد رشيد رضا لاشك صاحبه ومفسر مذهبه ومكمله . وقد بذل منشئ « المنار » — رحمة الله عليه — مجهوداً في هذه الناحية ضخماً حافلاً بالمباحث الدينية والمناقشات الفقهية . وكان لهذا المجهود العظيم أثر غير ضئيل في طلاب العلوم الدينية ومن إليهم ، وفي توجيه الدراسات الشرعية في بلاد الإسلام المختلفة .

ثم نهض بعض الكتاب والباحثين لدراسات تتصل بالشيخ محمد عبده وآثاره من غير الناحية التي كان السيد رشيد يقصر نظره عليها ، وشارك في ذلك طائفة من المستشرقين ، لكن هذه الدراسات لم تعدُ في جملتها أن تكون محاولات متفرقة وأن يكون حظ الأدب فيها أكبر من حظ التعمق في البحث ، والاستقصاء في المراجع الآخذة في الازدياد .

* * *

ولقد رأيتك تتخذ من الأستاذ الإمام موضوع دراسة تحفز لها كل همتك ، وتقبل عليها بكل قلبك ، وشهدت بعض عنائك في تتبع المراجع وتمحيص النصوص ، واستقراء الآثار ، وحسن الانتفاع بذلك كله في الاستنتاج والحكم .

ثم قرأت رسالتك لما أتممتها ، وكنت حاضر مناقشتها حين تقدمت بها لنيل الدكتوراه . فكنت من أشد الناس سروراً بك وإعجاباً بعملك الممتاز الذي يبرز صورة الشيخ عبده صادقة ناطقة ، ويحيط بكل الجوانب من نشاطه الإصلاحي المترامي الأطراف ، ويعرض أنظاره الفلسفية في اتساق ووضوح وحسن طريقة . وإن كتابك ليسد ثغرة في الدراسات المتصلة بالشيخ عبده ، وفي الدراسات المتصلة بتاريخ نهضتنا الفكرية والاجتماعية الحديثة من ناحية أثر الشيخ عبده فيها .

* * *

مضى أربعون عاماً إلا قليلاً على وفاة الأستاذ الإمام ، فكتابك الطيب تحية الجيل الجديد من العلماء لعلم الجيل القديم . وهي تحية كريمة تتأرج بالحب والوفاء . وأي شيء في الدنيا أكرم من الحب والوفاء .

شكر الله لك وحياك .

مصطفى عبد الرازق

١ — رفقاً بنا أيها التجار

بعد انهيار الميدان الأوربي أخذ التجار يفتنون في الإعلان عن بضاعتهم ورخص أثمانها ، ولكنا وجدنا أنفسنا معهم كما قيل عن « أبي معشر » : « تقرأ فتفرح وتجرب فتحزن » :

قسا تجارنا حتى حسبنا … قلوبهمو حديداً أو حجاره !
إذا قلنا لهم : عطفاً علينا … فإنا إخوة ، لعنوا التجاره !
وصاحوا : الحرب ! ويح الحرب إنا … جنينا دونكم منها الخساره !
وما صدقوا ، فإن الحرب فاءت … عليهم بالنُّضار وبالنَّضاره
عذيرى منهمو شبعوا وجعنا … وبعض الحلو يدرك بالمراره
إذا حل الوباء بأرض قوم … فزف إلى الحنوطى (١) البشاره
سلوا الصابون كيف غدا لديهم … يباع كأنه مسك العطاره ؟ !
عباد الله خانوا الله فينا … أنشكو المرء أم نشكو القذاره

٢ — المبرد

ساق العلامة المحقق « النشاشيبي » في العدد ٦٢٣ من الرسالة

(١) الحانوتي .

(*) بمناسبة ظهور رسالته عن الامام عبده .

القراء البيتين الآتيين فى ثنايا احتجاجه لفتح راء « البرد » .

ومليح إذا النحاة رأوه فضلوه على « بديع الزمان »
رضاب عن « المبرد » يروى ومهود تروى عن « الرمانى »

وقد قال : إنهما لشاعر لا يتذكر الآن اسمه .

والبيتان « لابن الوردى » كما جاء فى كتاب تزيين الأسواق للشيخ داود الأنطاكى .

ومما ينتظم فى سلك ما أتحفنا به الأستاذ الكبير من الطرائف عن هذا الإسم قول أبى الحسين الجزار :

حمت خدها والثغر عن هائم شج له أمل فى مورد ، ومورد
وكم هام قلبى لارتشاف رضابها فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

وقال آخر :

ثغر ، وخد ، نجل رب بديع الحسن قد تفرد
فذا عن « الواقدى » يروى وذاك يروى عن « المبرد »

على الجندى

١ — أهل السنة وأهل الحديث

تعليقاً على ما جاء فى هذا الموضوع فى عدد « الرسالة » ٦٢٦ أنقل كلمة من كتاب (كشف الكربة لابن رجب) : قال الأوزاعى فى قوله صلى الله عليه وسلم : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) . أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى منهم فى البلد إلا رجل واحد . وكان الحسن يقول لأصحابه : يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس . وعن سفيان الثورى قال : استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء .

ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات . ولهذا كان الفضيل بن عياض يقول : أهل السنة من عرف ما يدخل فى بطنه من حلال ...

ثم صار فى عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سلم من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك فى مسائل القدر وفضائل الصحابة ، وصنفوا فى هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة . انتهى ما قاله الحافظ ابن رجب الحنبلى .

٢ — قبرس

ورد فى عدد « الرسالة » ٦٢١ (قبرص) بالصاد ، والصواب (قبرس) بالسين على ما فى القاموس المحيط ، ومعجم البلدان وغيرهما ، وما كنت لأنبه عليها لو كانت فى غير مقال العلامة النشاشيبى ، ولعلها من خطأ الطبع .

محمد تحسين الحسينى

فى مقالى عن أحمد محرم

وقع خطأ مطبعى وسهو فى كلمتى عن المرحوم الشاعر أحمد محرم ونورد هنا صحتهما رجاء التنبه للخطأ المقابل لها :

« فى يوم الأربعاء ١٣ يونيو ١٩٤٥ م بمدينة دمنهور توفى الشاعر » وبعد ذلك بسبعة سطور :

« وانتقل به والداه وهما من أصل شركسى إلى حوش عيسى وهى إحدى القرى الكبيرة التابعة لمركز أبى المطامير » .

هذا وقد وردت إلىّ بعض الرسائل من أفاضل القراء تفيض ألماً للفقيد وتسألنى مزيداً من التفاصيل عن حياة الشاعر . وعن مدى البؤس والإهمال الذى لقيه فى حياته . وإنى أشكر لهم ذلك الإحساس النبيل ، وأرجو أن أكون عند رغبة أصدقاء الشاعر قريباً بنشرى دراسة كاملة عنه .

كما قد علمت أن بعض أصدقاء الشاعر فى دمنهور — وما أقلهم فى ذلك البلد — يفكرون فى إقامة حفلة تأبين له وإنى إذ أحيى فيهم ذلك الوفاء أرجو أن لا يقف الأمر عند الرثاء ...

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**

حفلة تأبين

ستقام حفلة تأبين للمغفور له الأستاذ الشاعر أحمد محرم بدار سينما بلدية دمنهور من الساعة الرابعة إلى السادسة من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٤٥

فعلى حضرات الذين يودون إلقاء كلمات فى هذه الحفلة الاتصال بمندوب اللجنة حضرة عبد الجواد أفندى غزال بمدرسة التعاون الإنسانى بدمنهور



أقصوصتان لتشيكوف

١ – ابتهـــاج

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

ما كادت الساعة تشرف على الثانية عشرة مساء ، حتى دلف ميتيا كلدروف إلى داره ، أشعث الشعر، منفعل الوجه ، مضطرب النفس . فهرع إليه والداه وكانا على وشك النوم ، وكذلك شقيقته وكانت قد أتت على الصفحة الأخيرة من إحدى القصص . أما إخوته التلاميذ فأغرقوا فى النوم

وصاح والداه فى دهش :

— من أين أقبلت ! ما ذا دهاك ؟ !

— لا تسألانى ... لم أكن أتوقعها ... إنها المستحيل بغير شك ... !

وعجزت ساقاه عن حمله — لما غمره من السعادة — فتهالك على أحد المقاعد ضاحكا مرحداً :

— إنها المستحيل ! ... انظروا ، فأنتم لا تتصورون مبلغ ذلك ! تخفت إليه أخته — وقد أحاطت نفسها بدثار — واستيقظ الأطفال على صدى هذه الضجة .

— ما الذى حدث ؟ إنك تبدو فى غير طبيعتك !

— ذلك لأنى لا أكاد أتمالك نفسى من الابتهاج ، ألا تعلمين أن روسيا بأجمعها تعرفنى الآن ؟ تعرف ذلك الكاتب المسجل دمترى كلدروف ؟

وعاد ميتيا يهرول فى غرف المنزل من جديد ، ثم لم يلبث أن أدركه الكلل والعناء فتهالك على المقعد ثانية ، وشك الجميع فى أنه قد أصيب بلوثة فى عقله ، فصاح ميتيا فى سخرية :

— أنتم تعيشون هنا كالوحوش ، لا تدركون مايدور حولكم لأنكم لا تعيرون اهتماماً ما ينشر فى الصحف من الأخبار العامة ، إن الصحف تذيع ما يطرأ من الحوادث الخطيرة ، فلا تبقى خافية على الناس ... يا إلهى ، كم أنا سعيد ... ألا تدرون ؟ لقد نشرت الصحف اسمى كما تنشر أسماء العظماء المشهورين !

فهرع الأخوة نحو أخيهم وقال الوالد وقد علا وجهه شيء من الشحوب :

— ما ذا تعنى ؟ أين ذلك ؟

— ما ذا أعنى ! لقد نُشر اسمى فى الصحف وعرفتنى الآن روسيا بأجمعها ... انظروا ...

وجذب ميتيا من جيبه نسخة من إحدى الصحف وناولها والده وأومأ إلى فقرة تحتها علامة زرقاء واضحة

— هلا قرأتها ؟

فثبت الأب نظارته أمام عينيه ، أما الأم ، ففغرت فمها وقد ارتسم عليه شيء من البله ، وراحت تتمتم فى صوت خفيض : وارتفع بعد هنيهة صوت الوالد وهو يتلو الفقرة :

« فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٩ ديسمبر ، بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف ... »

فقاطع ميتيا والده قائلا :

— أسمعتم ؟ استمر

« .. بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف يغادر إحدى حانات الخمر فى حى « كوزهين » بمقاطعة « بورونيا » وهو فى حالة سكر »

— إنه أنا يا والدى ، وكان معى سيمون تروفتش ، إنهم يصفون الحادث أروع وصف ... انصتوا ... استمر

« فى حالة سكر، تعثر وهوى تحت حصان عربة للثلج، يقودها رجل ريفى يدعى « إيفان دروتوف » من قرية « دريكينو » بإقليم « يوفسكى » ، فهاج الحصان ووطىء كلدروف ، ومرت العربة فوقه وانقلبت بالقرب من تاجر من موسكو يعرف « بستيبان لكوف » ، فتحطم ما كان بها من الثلج على قارعة الطريق ، واستطاع نفر من الناس أن يقبضوا على زمام الحصان الجامح ، وحمل كلدروف فى غيبوبته إلى مراكز الشرطة حيث فحصه الطبيب

وكانت الإصابة التى أصابته فى مؤخر رأسه ... »

وعاد ميتيا يقاطع والده :

— لقد كانت من نوتا فى العربة ... أتمم الباقى ...

« ... التى أصابته فى مؤخر رأسه لم تكن بالخطيرة ، وقد كتب تقرير عن الحادث ، وأسعف الجريح بالمساعدة الطبية اللازمة »

وأخبرونى أنه يجب أن ينظف موضع الإصابة بالماء البارد ...

أصدقتم الآن ؟ إن روسيا جلها تعرفنى ، أنا ديمترى كلدروف ناولنيها يا أبتاه!

والتقط ميتيا الصحيفة من والده وطواها ، ودسها فى جيبه ، وراح يقول :

— سأنطلق الآن إلى أصحابى ومعارفى لأنبئهم بأن ديمترى كلدروف قد ذاع صيته فى روسيا ... نعم سأريهم الصحيفة . وداعاً

وارتدى ديمترى قبعته الحمراء ... وهرول إلى الطريق وملء جوانحه الزهو والابتهاج ...

مصطفى جميل مرسى

٢ - فى المقــبرة . . .

بقلم الأديب فيصل عبد الله

« الريح شرعت تهب ، والكون قد غشيه الظلام ، أفما آن أن نعود إلى بيوتنا ؟ »

لقد هبت الريح تعصف بأوراق الشجر الصفراء ، وانثال علينا من السماء هاطل من البرد ، فانزلق قدم أحدنا وكاد أن يهوى على الأرض للموحلة لولا أن تدارك نفسه فأهوى بيده على صليب أغبر كبير كى يتقى به السقوط ، ثم راح بعد ذلك يقرأ ما كتب عليه:

« إيغورغريازنوروكوف المشاور الخاص والفارس » .. إننى لأعرف هذا الرجل ، كان كلفاً بزوجه ويتقلد وسام ستانسلاف ولا يزعج نفسه بقراءة شىء ، أما ذوقه فكان جميلا ، إنها الحياة لا يأسى امرؤ على أنه حيها ، ولطالما جال فى خاطر الناس أن لم تكن بمثل هذا حاجة إلى أن يموت . ولكن للأسف ، فإن حادثاً أليماً كان فى انتظاره ، فلقد خر المسكين صريع حبه للمعرفة ، إذ بينا كان ذات يوم يختلس النظر من خصاص باب إذ صدم الباب رأسه بعنف فأفقده الوعى ثم ... مات . تحت هذا الصليب يرقد إنسان أبغض الشعر منذ المهد ، وكأنهم يسخرون منه إذ ملأوا النصب كله بالشعر ... ها قد أقبل بعض الناس ! »

أقبل نحونا رجل بمعطف بال ووجه شاحب حليق ، يتأبط قنينة من الفودكا ، وقد برزت من جيبه رزمة من شرائح لحم مقدد ، ثم سألنا بصوت أجش « أين قبر موشكين الممثل ؟ ! » فقدناه إليه ، وكان موشكين هــذا قد مات منذ عامين ، ثم سألناه : « أأنت موظف حكومى ؟ » فأجابنا : « كلا إنما أنا ممثل ، إن المرء لا يستطيع فى هذه الأيام أن يميز ممثلا من موظف حكومى ، والملكم لاحظتم ذلك . إنه لشىء عجيب وإن لم يكن فيه ثمة حط من قدر الموظفين »

لقد كان عسيراً أن يجد المرء قبر موشكين ، فلقد علته أعشاب فتبدى مما كسبه أبعد ما يكون عن المقابر . كان عليه صليب رخيص صغير ومائل ، نما عليه الطحلب وعلق به الثلج ، فلاح قاتماً عتيقاً كتب عليه « الصديق المنسى موشكين » ، ولقد أزال الزمن حرفين من النصب وأصلح ضجعة الرجل . ولقد تنهد الممثل وجثا حتى مست ركبتاه الأرض الموحلة ، ثم قال : « لقد اكتتب الممثلون والصحفيون بمال ليقيموا به نصباً له ، ثم شربوه ، يالهم من صبية أبرار! »

— وماذا تقصد بقولك « شربوه » ؟

— ذلك جد بسيط ، لقد جمعوا المال ، وخطوا على الورق القوائم ، ثم شربوا المال . إننى لا أقول ذلك لألحوهم على ما فعلوا ولكنه الواقع . نخب صحتكم يا سادتى ، نخب صحتكم ونخب ذكراه الخالدة . ليس ثمة صحة تنال من الأفراط فى الخمر ، والذاكرة الحافظة الدائمة أمر مؤلم ... ألا فلنرجو من الله ذاكرة لا تعيش فيها الأحداث والرؤى ، أما الذاكرة الواعية ...

— حسناً ... إن هذا لهو الحق ، لقد كان موشكين رجلا يعرفه الكل ، ولكنه الآن منسى ، نسيه أولئك الذين أحبوه ، ويذكره أولئك الذين مسهم منه الضر والأذى ويخشهم أقدارهم أما أنا فلن أنساه ، كلا ، لن أنساه ، فلم يصبنى منه غير الضر والخسران ، ولست أحبه

ثم زفر الممثل فسألناه : وأى أذى نالك منه ؟ فبان على وجهه ما كان يكابد من جراح فى قلبه وقال : « إنه لأذى بليغ ، لقد كان خبيثاً وسارقاً ، ألا فلتسكن روحه ولتهدأ... لقد صرت



شعر الطبيعة في الأدب العربي

[كتاب للدكتور سيد نوفل]

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

أظهرت مكتبة الخانجي بمصر كتاب شعر الطبيعة في الأدب العربي للدكتور الفاضل والعالم الأديب سيد نوفل ، وهو الرسالة التي نال بها درجة الدكتوراه برتبة جيد جداً من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٤م .

وقد كان الأدب العربي في حاجة إلى هذا الكتاب الذي عني بتاريخ شعر الطبيعة منذ ظهوره في شعر امرئ القيس كفن قائم بذاته من فنون الشعر ، متأثراً بالبيئة التي ظهر فيها امرؤ القيس ، معبراً في وصفه لها عن شعور صادق بأثرها في نفس الشاعر ، وحب لها يصل إلى درجة التدله والفناء فيها ، ويجعل ذلك النوع من الشعر هو الغرض الأهم من القصيد ، وما عداه من الأغراض كالنسيب يؤخذ على أنه وسيلة له ، وكان مظهره في الوقوف على الأطلال ووصفها والبكاء عليها ، ووصف مشاهد الصحراء العربية من نوق وأفراس وجبال ورياح وسحب ورعود وبروق وما إلى ذلك من مشاهدها ، وهذا هو الدور الأول لشعر الطبيعة في الأدب العربي .

ويأتي بعده الدور الثاني ، وهو دور التقليد في شعر المرقش ومن سلك طريقته ، وفي شعر أوس بن حجر ومن سلك طريقته ، وفي شعر طرفة ومن إليه من بعض الشعراء الذين تحرروا من قيود التقليد بعض التحرر ، وفي هذا الدور حذا أولئك الشعراء في وصف الطبيعة في شعرهم حذو امرئ القيس ، ولكنهم جعلوه وسيلة لغيره من الأغراض ، لأن وصف الطبيعة لم يكن يعنيهم في الشعر كامرئ القيس ، وإنما كان يعنيهم غرض المدح وما إليه من الأغراض التي دعاهم إليها التكسب بالشعر .

ثم يأتي بعد ذلك الدور الثالث ، وهو دور الجمود في صدر الإسلام ، وعهد الخلفاء الراشدين ، وعهد بني أمية ، لأن شعراء هذه العهود جمدوا فيها على التراث الجاهلي في وصف الأطلال وما إليها من المشاهد البدوية ، ولم يؤثر فيهم ذلك الانقلاب العظيم الذي أحدثه الإسلام في تاريخهم ، ونقلوا به من أمة بدوية إلى أمة حضرية ، وشاهدوا فيه من آثار الممالك المفتوحة ما لم يشاهدوه في باديتهم ، وقد وجههم الإسلام إلى النظر في الطبيعة فلم يتوجهوا ، ولم يجددوا في الشعر بما يلائم ذلك التجديد الديني ، وقد قامت في ذلك الدور حركة للاحياء في رجز العجاج وغيرهم من الرجاز ، وفي قصيد الراعي وتلميذه ذي الرمة

مثلا بالإصغاء إليه ، صرت مثلا بالنظر إليه . لقد أغواني بفنه وأغراني بكبريائه فزين لي أن أهجر الأهل . لقد وعدني بكل شيء ولكنه لم يهبني غير الدموع والأشجان ، غير مصير المثل ونهايته !

لقد خسرت كل شيء ... الشباب ... الوقار ... محبة الله ...

ولم أعد أملك فلساً واحداً أعزي النفس به . لقد رث حذائي وبلي ، وتهرأت ثيابي وانتشرت عليها الرقع ، وبدا وجهي كما لو أن كلاباً قد تولته نهشاً وتمزيقاً ، وامتلأ رأسي بالبالي الرخيص من الفكر ...

لقد سلبني إيماني ذلك السارق ! على أن ذلك كله ما كان ليبلغ مني مبلغه هذا لو كان لدي شبه ذكاء أتعزى به ، ولكنني قد خسرت كل شيء ، كل شيء للاشيء . إن الجو لقارس أيها السادة ، أفتأذنون بقطرة فإن لدي ما يكفينا ، فلنشرب ، ولتهدأ روحه ، إنني لا أحبه ، إنه الآن ميت ، ولكنه برغم ذلك كان الوحيد الذي كان لي على وجه الأرض ، لقد كان لي كأصابع اليد ، وهذه آخر مرة أراه فيها ، فلقد أخبرني الأطباء بأنني سأموت قريباً لإدماني الخمر ، ولذلك جئته اليوم لأودعه ، فإن علينا أن نصفح عن أعدائنا !

ولقد تركناه يناجي موشكين ، وسرنا خارجين من المقبرة ، ثم انهال علينا رذاذ بارد ناعم من السماء ، وعلى منحنى الطريق الرئيسي لقينا جنازة يحملها أربعة رجال عليهم أنطقة بيض من القطن ، وقد اتسخت نعالهم وناءت بحمل من ورق الشجر علق بها ، كانوا يحملون كفناً رمادياً ، وكان الظلام قد هم بالسكون يغشيه بسدول منه سوداء رهيبة ، فكانوا يسرعون بميتهم يتعثرون ويتأرجحون ... لم تمض علينا غير ساعتين منذ شرعنا نجول هنا وهذه ثالث جنازة يأتون بها ، ألا فلنعد إلى بيوتنا ...

القدس **فيصل عبد الله**

ثم يأتى بعد ذلك الدور الرابع ، وهو دور الانتقال فى شعر أبى نواس وأبى تمام وابن الرومى والبحترى وابن المعتز وقد امتاز هذا الدور بالمنازعات التى قامت فيه بين القديم والجديد ، وثورة أبى نواس على الجمود فى الشعر على وصف الطلول ، والوقوف على الدِّمَن ، وما إلى ذلك مما لا يتأثر به الشاعر فى حاضره ، ولا يحيط به فى بيئته ، وكان لذلك أثره فيما أخذ به هو وغيره من وصف مشاهد الحضارة العباسية ، فى قصورها ومجالس لهوها ، وما إلى ذلك مما جد فيها ، ولكن الشعراء كانوا يترددون فى ذلك بين القديم والجديد ، ولم يمكنهم أن يتخلصوا فيه كل التخلص من التأثر بالقدماء .

ويأتى بعد ذلك الدور الخامس ، وهو دور النهضة ، وقد انتهى القرن الثالث الهجرى بغلبة الجديد ، فنهض شعر الطبيعة إلى أقصى ما وصل إليه فى الأدب العربى ، وصار له فى كل إقليم طابع يمتاز به ، وكان أرق ما وصل إليه فى بلاد الأندلس ، فى شعر ابن خفاجة وغيره .

وقد آثرنا أن نلم بهذا التقسيم الذى يدل على مبلغ دقة المؤلف وتمكنه من موضوعه ، لندل به على طريقة دراسته فى كتاب تبلغ صفحاته سبع عشرة وثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، فهى دراسة دقيقة جامعة لهذا الشعر فى عهوده المختلفة ، وعرض حسن لنماذجه فيها ، وتحليل وشرح يدل على قوة إدراك ، وحسن فهم ، وموازنات بين الشعراء فى هذا الباب تدل على مبلغ تفاوتهم فيه ، وتضع كل واحد منهم فى درجته اللائقة به ، ونقد بصير بمواضع النقد ، وتوجيه حسن لمن يأخذ من الشعراء فى هذا الباب .

ثم ماذا بعد هذا كله فى ذلك الكتاب النفيس ؟ هناك دراسة أيضاً لشعر الطبيعة عند الغربيين ، وموازنات بينه وبين شعر الطبيعة فى الأدب العربى ، وحسن توجيه أيضاً إلى ما وصل إليه شعراء الغربيين فى هذا الباب ، لأنهم لم يقتصروا فيه على وصف مظاهر الطبيعة كما اقتصر شعراؤنا ، بل اتسع الأفق عندهم فى نظرتهم إلى الطبيعة ، واتخاذها موضوعاً فكرياً عالياً ، ينتهى بهم إلى أفكار وتصورات سامية ، وفلسفات روحية تدل على كمال تفانيهم فيها ، ولذلك نماذج أيضاً تؤيده ، فجاء الكتاب بكل هذا جامعاً فى بابه ، لا يستغنى عنه أديب فى مكتبته .

عبد المتعال الصعيدى

ديوان الشوق العائد

[للأستاذ على محمود طه]

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

فى كتاب العمدة لابن رشيق : « قال بعض الحذاق : إنه ليس للجودة فى الشعر صفة ، إنما هو يقع فى النفس عند المميز : كالفرند فى السيف ، والملاحة فى الوجه » .

هذا قول كله صدق وكله حق ، فنحن مهما اجتهدنا فى تعريف غيرنا بنواحى الجودة فى الشعر الجيد فلن نستطيع أن نأتى بصورة صادقة تامة لما نحسه فى نفوسنا من جودة ذلك الشعر .

وهــذه حالى مع شعر الشاعر على محمود طه ، فإننى لأقرأه فإذا هو يوافق نفسى ، وإذا هو يقع منها موقعاً قلما يكون لغيره من شعر العصر . ولست أدرى مبعث ذلك على وجه التحقيق ، أهى روعة الشعر أم تجاوب الذوق أم كلاهما معاً .

وها هو ديوانه الأخير « الشوق العائد » بين عينىّ ، فيا لها من عوالم حافلة بالتهاويل زاخرة بالصور الحية تتدعها لطافة شعور الشاعر ، وصفاء فكره ، ورقيع ذوقه وبراعة فنه ؛ ولله هذه الصفحات الرائعات من حياة ذلك القلب الذى لا يقر له قراره فهو لا يكاد ينسى أمسه بآماله وآلامه حتى يعوده عيد من الشوق جديد : الله لقلوب الشعراء ! وهل كانت يوماً إلا هكذا ؟ وهل تملك إلا أن تلتفت إلى أمسها رضينا أم لم نرض ؟ . ولقد ترقرقت فى عينىّ دمعة حين قرأت قوله :

فقالت : ما حياتك ؟ قلت حلم ... من الأشواق أوثر أن أطيله

ما أروعها حياة ! ولكن يا رحمة للنفس الشاعرة إذا هى لم تجد لطيوف أحلامها الأفق الرحيب لتنطلق فيه خفيفة الاجنحة ، فما تكاد تلك الطيوف تصفق بأجنحتها وقد همت بالتحليق حتى تصدمها قيود وسدود تعترض الأفق من هنا وهنا فإذا الأجنحة تتكسر ؛ وإذا الطيوف تختنق من الضيق فتهاوى صريعة ميتة ، وتستيقظ النفس الشاعرة الحالمة لتواجه الحقيقة ، الحقيقة التى ترى فتصيب ، وتصيب فتقتل . وما هى حياة الشعراء إذا حيل بينهم وبين أحلامهم وأطيافهم ؟ .

ونظرة فى قصيدة « يوم الملتقى » وهى من غرره الاجتماعية تعيد إلى أذهاننا ما تنبأ به المرحوم « الزهاوى »

لشاعرنا من أنه سيحمل بعد شوقي لواء الشعر العربي . حقاً ما كان أزكى الزهاوي رحمه الله ؛ أولا فما هذا الشعر الرصين ، وما هذه الديباجة المشرقة ، وما هذه العصا السحرية التي تمس القلوب إذا خاطب الشرق في اجتماع زعمائه لتأليف الجامعة العربية :

قَعَدَ شراعك لا تسلم أزمته لغير كفك ، إن الريح هوجاء
ياشرق مجدك إن لم ترس صخرته يداك أنت فقد أخلته أهواء
ياشرق حقك إن لم تحم حوزته صدور قومك لم تنقذه آراء
والكون ملحمة كبرى جوانبها دم ونار وإعصار وظلماء

بلى ، ولئن لم ينزل الشرق هذه الملحمة ، ملحمة الكون الكبرى مزوداً بعدته ليهلكن .

ويا لتلك الريشة التي تضرب على أشد أوتارنا حساسية حين تستصرخ العصبة بشأن فلسطين فتهزنا هزاً :

أحلها ذهب الشاري وحرمها عصر به حرز القوم الأذلاء
حربان أثخنتاها أدمعاً ودماً تنزو بها مهجة كلى وأحشاء
تطلعت لكم ولهى ، أليس لها على يديكم من العلات إبراء

الله فيك يا فلسطين الشهيدة .

ولست هنا بسبيل أن آتي على كل قصيدة في ديوان الشوق العائد ، وليس ما ذكرت هو خير ما في الديوان ، كلا ، فإن قصائد الشاعر تمتاز كلها بالجمال روحاً وجسماً ، فالمعنى الرائع في اللفظ المتخب . وإن الملاح التائه ليصور لنا بحرارة وصدق ما تهتز له خوالجه ، وإن شعره لينبض حياة بما فيه من العناصر الإنسانية التي تشيع في كل ما ينتجه لنا من روائع، ومن هنا يتنافل شعره في نفوسنا ومن هنا يخبأ شعره في قلوبنا .

تحيتي إليك يا أيها الشاعر الخالد وإعجابي الذي لا ينتهي .

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

أصـــــداء بعيدة

[للاستاذ العوضي الوكيل]

للأستاذ ثروت أباظة

صدر في الأيام القريبة الماضية ديوان « أصداء بعيدة » للشاعر العوضي الوكيل ، وصاحب الديوان غني عن التعريف وليس غريباً عن قراء الرسالة ، وديوانه هذا الأخير يغري بالقراءة فقد قرأته عدة مرات ، كنت أفتح الديوان عفواً فما أزال أقرأ وأقرأ حتى أجدني قد انتهيت من الديوان ، ولعل هذه القراءة الكثيرة جعلتني ألحظ على الديوان شيئاً كنت أتمنى ألا ألحظه . فالشاعر العوضي شاعر له قصائد كثيرة تعطيك الفكرة الصحيحة الصادقة عن فن الشاعر الصادق . وبجانب هذه القصائد نجد مقطوعات لا تقل كثرة عن تلك ، كان بودي أن تنسب لغير الشاعر الذي عرفناه . فأنت حين تقرأ قصائد الديوان كأنك تقرأ لشعراء كثيرين متباينين قوة وضعفاً . فقصيدة الربيع مثلا التي يستهلها الشاعر بقوله .

عدت ياصـــاحب الربيع وعدنا
فامض في الكون كيف شئت وإنا

وكذلك قصيدتا الريف الغائية والرائية من أحسن ما يمكن أن يكتب عن الربيع وعن الريف ، ولكن تعال معي مثلا إلى قصيدة الهجرة ....

رحلة لليقين والإيمان ، ونجاة الهوى من الطغيان
فتح القفر روحه للصديقين فأمسى باديه كالبستان
إنما ذرة من الرمل غنت ولكادت تهم بالطيران
حدثت أختها وفيها دبيب وهي نشوى بمقدم النشوان

بون شاسع بين هذا الشعر وما قدمت من نماذجه الجياد، ومن طراز هذا الشعر الأخير قصيدته في صلاح الدين ومقطوعته التي بعنوان « قلبي » ونشيده العسكري وغير ذلك مما لا أرضاه للشاعر . أنا لا أنكر أن كل شاعر يسف ويحلق ولكن ليس بهذه الكثرة في الإسفاف . ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ العوضي سريع في نظمه كل السرعة ، وسرعته هذه لا تعطيه الفرصة الكافية لكي يعرض القصيدة على ذوقه الأدبي مجرداً من كل عاطفة ، فهو ينظم القصيدة ثم ينظر إليها نظرة المعجب المزهو لا المتقد الفند ، والوضع الصحيح أن ينتقد هو ليعجب به غيره . لعله يستمع لهذا الكلام في هدوء وطمأنينة فيحاول أن يتدارك هذا المأخذ ... إذاً لأصبح العوضي في مكانه اللائق به .

ثروت أباظة

١ — **زوبعة الدهور : تأليف مارون عبود**

فصول عن (دار الكشوف) بقلم خفيف سريع الحكم يعتصر حكمه على المعرى من عاطفته ويستدل بشعر المعرى بتزعه من قصائده وعهد لخواطره عن الشاعر .

يدور الكتاب حول حياة المعرى أو المعضلة العلائية ويمضى الكاتب يصف عصر المعرى بمصر الأسرار ويفيض عن مدرسة أبى العلاء وصلته بالحاكم ويستطيل به القلم حتى يصل به القول إلى أن العصر ظفر منه بشاعر العقل الفاطمى .

وعند الكاتب أن المعرى لم يضرب عن الزواج لأنه لا يريد الجناية على أحد ولكنه أضرب لأنه يؤثر العفة ويحدد النسل عند الإضطرار ولا يسمح بتعدد الزوجات ويثور للمرض المهصور ثورته للدم المهدور

وقد أسرف الأستاذ المؤلف وزاد وأطال كى يثبت أن المعرى شيخ الفاطمية الأعظم . وإليك ما انتهى إليه (فى مذهب أبى العلاء) (من طالع سيرة المعز والعزيز والحاكم الفاطميين رأى أبا العلاء لا يخرج فى حدود تعاليمه عن تخوم آراء هؤلاء الثلاثة ، ومن أسعده الحظ وقرأ رسالة النساء الكبيرة فى كتب الدروز يرى أن النبع واحد كل يريد أن يقصى المرأة وينحيها خوفاً من الفتنة)

والمؤلف جرىء كثير التحامل والشطط ، من ذلك حكمه بأن أدب العميان جميعاً فيه رائحة عفنة لا تعجبه . وهو قد يكون على شىء ، ولكن فى أدب العميان مثل بشار سحر لا يشاب بعضه ولكنه عزج بالسخر والصدق والصرامة ؛ وفى نظرات المعرى نفسه صدق ومضاء غاب عن المؤلف ؛ والمرارة شىء والتعفن شىء آخر .

والكتاب جميعه نسق من الخواطر الأدبية فى ثوب باحث وأسلوب يشوق القارىء بحديثه لولا الإطالة والإطناب حول المعرى والدعوة الفاطمية التى استولت على المؤلف وأضاعت عليه وقتاً كان فى حاجة إليه فى جوانب أخرى عن المعرى ...

٢ — **مرايا الناس : تأليف السيدة وداد سكاكينى**

رأيى فى الأدب النسوى لا يسر المرأة ولا يروق ربات البنان المخضب ، ولكنى أعترف كما يعترف غيرى أننا قرأنا من نتاج الأديبات فى مصر ما طربنا به شيئاً ، وإن كنت أجد فيه إلى جوار أنامل المرأة أصابع الرجل تنقيه مرة وتشجعه مرة أخرى وقد تقومه أو توجهه . والذى يؤلم أن أدب الأنوثة كنار المشيم تعلو سريعاً ثم تهبط وإلا فأين (صوت سهير القلماوى) وأين نفحات الأنوثة فى (قلم ابنة الشاطىء) وأين طرائف المبدعات من (وداد صادق عنبر) وبيانها المنزل من موروث والدها . أين ؟ وأين ؟ أظن (البيت) هو الذى طغى على رسالة القلم عند هؤلياتكن . ولا حرج فالطبيعة تقضى .

غير أنى اليوم أطالع مرايا الناس للسيدة وداد سكاكينى الكاتبة الشرقية فأعجب كيف أن الطبيعة لم تنلها ، وحرفة الأمومة لم تنهنه من حماسها الأدبى ، ولم تبلبل تيارها العارم ؛ أعجب ولا يدفعنى هذا إلى أن أقول كما قال الناقد القديم . (تلك التى غلبت الفحول) لا أقول ذلك وإنما أدعو القارىء إلى أن يرد مراياها ويقف على شخصيتها ويتملى من أسلوبها ليعجب بقصصها الإنسانى الذى اتخذ من صلاته بالمرأة درساً وتحليلاً ثم جاء تعبيراً سامياً فى إطار يشوق وإخراج يروق . وحتى لا أحرم القارىء أو يرمينى بمجاملة الضيفة الصديقة أضع أمامه قطعة من (شقيقة نفسى) تكشف عن جمال فى التعبير وإبداع فى التصوير ورفعة فى الأسلوب الذى تحسد عليه المرأة وتغبط السيدة وداد .

(فى صيداء مدينة الزهر والعطر ، الحالمة بجدها على الشاطىء الأبيض الجاثم بوداعة وفطنة ليداعب بمده وجزره تلك الرمال النقية ، فإذا وليت وجهك شطر البيوت تركت البحر وأمواجه القلعة العتيقة السادرة فى ذكرياتها ، ثم أقبلت بالنظر على جنات ألفاف ، وأفواف خلف أفواف ، وحدائق وراء بساتين رقافة النسيم سمراء الأديم قد شاعت فيها أنفاس الفردوس ، وليكن هذا فى الربيع حين يعبق فى هواء صيداء عطور النارنج والليمون) .

وأخشى أن أطيل وأمضى بك فى كثير من القطع الفنية التى صاغتها ريشة تغنى بعواطف المرأة وتجارب الأنثى وتأملاتها فى الحياة والمجتمع وصلات الناس .

نعم قد تمر على بعض القصص فلا تفجأ بالحادثة ، وقد تمر بك الخطرات والنظرات وأنت تقرأ كأنها النسيم يمضى رخاء دون أن يلفحك أو يعصر قلبك لأن السيدة وداد رفيقة الأنفاس هادئة البراعة تنظر بمرآة صافية لم تلعب بها الأعاصير ولم تمايل بها الرياح . إنما هى امرأة فنانة متمكنة من قياد القلم تحمل قلباً إنسانياً ونظرة نشف وتنم عن الرحمة واليقظة . وهكذا جاءت مراياها من القصص الحلل المتأمل الذى يشهد للمرأة ويحملنا على الاعتراف بأدبها .

وقصص (هاجر العانس) و (الضرتان) و (حظها المكتوب) و (العروس) لون من تاج المرأة الذى يضع الكاتبة فى مصاف القصاصين المبدعين .

ويكفى الأديبة أن تقبل إعجابنا بنتاجها الموفق وإلى أن أردى آخر يردنا إلى الإعجاب بفن الأنوثة الشرقية .

كامل محمد عجلان